REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ دوريةٌ تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتاب
99/9440

الترقيم الدولي
977-5366-11-9

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
١٤٣٨-٢٠١٦م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

المجلد الخمسون

القاهرة

٢٠١٦م

هيئة التحرير

أ.د. أيمن فؤاد سيد
أ.د. أحمد زكريا الشلق
أ.د. السيد علي السيد

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د. إسحق عبيد
أ.د. جمال حجر
أ.د. السيد فليفل
أ.د. عادل حسن غنيم
أ.د. عاصم الدسوقي
أ.د. محمد صابر عرب
أ.د. محمود إسماعيل عبد الرازق
أ.د. مصطفى العبادي

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : محمد أشرف عبد المقصود

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتـويات

الصفحة

الجامِعُ الأَزْهَـر ـ تـارِيخُـهُ وتَطَـوُّرُه
أيمن فؤاد سيِّد ٧-٣٢

نِظَامُ «الأبوفورا» في أَثِينَا وإِسْبَرْطَةَ فِي العَصْرِ الكِلاسِيكِي
(دِرَاسَةٌ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ المَصَادِرِ الكِلاسِيكِيَّةِ)
عبد اللطيف فايز علي ٣٣-٦٣

المَوْقِعُ الجُغْرَافِيُّ لِمَدِينَةِ بِيزَنْطَة اليُونَانِيَّةِ وأَثَرُهُ السِّيَاسِيُّ والاقْتِصَادِيُّ
مُنْذُ النَّشْأَةِ حَتَّى العَصْرِ الهِيلِّينِيسْتِي
محمود أبو الحسن أحمد ٦٥-١٠٣

جُهُودُ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ الكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالأَوْبِئَةِ وآثَارِهَا
خِلالَ القُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَى (٦٢٢-٩١٣م) (بِلادُ الشَّامِ نَمُوذَجًا)
صالح بن عبد الله بن محمد الزهراني ١٠٣-١٣٨

الْعَـوَامُّ والسُّلْطَةُ الْحَاكِـمَةُ فِي مِصْـرَ فِي عَصْرِ دَوْلَةِ الْمَمَالِيكِ الْجَرَاكِسَةِ
(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)
إيمان مصطفى عبد العظيم ١٣٩-١٩٦

أَثَرُ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ عَلَى الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ فِي مِصْرَ العُثْمَانِيَّةِ
ماجدة منصور ١٩٧-٢٣٩

الْجُهُودُ الْعِلْمِيَّةُ للأَقْفَهْسِيِّينَ فِي ضَوْءِ كِتَابَاتِ المُؤَرِّخِ التُّرْكِيِّ حَاجِي خَلِيفَة
فِي كَشْفِ الظُّنُونِ عَنْ أَسَامِي الْكُتُبِ والْفُنُونِ
ناجية عبد الله إبراهيم ٢٤١-٢٧٦

البَكَوَاتُ المَمَالِيكُ فِي مِصْرَ مِنْ نِهَايَةِ الحَمْلَةِ الفَرَنْسِيَّةِ حَتَّى مَذْبَحَةِ القَلْعَةِ
١٨٠١-١٨١١م (دِرَاسَةٌ فِي ضَوْءِ الوَثَائِقِ البِرِيطَانِيَّةِ غَيْرِ المَنْشُورَةِ)
يوسف حسين يوسف عمر ٢٧٧-٣١٦

الصفحة

الحُضُورُ الألْبَانِي في مِصْر العُثْمانِيَّة : الجَبَرْتِي مَصْدَرًا
محمد الأرناؤوط ٣١٧-٣٤٩

حَمَد البَاسِل ودوره في السِّياسَة المِصريَّة
سليمان محمد حسين ٣٥١-٤٠١

الشَّوَاشِيدُ وَدَوْرُهُم في الْحَرْبِ الإيطَالِيَّةِ ـ اللِّيبِيَّةِ ١٩١١: ١٩٣٢م
رجب علي عبد المولى أحمد العبد ٤٠٣-٤٦١

دَوْرُ سُلَيْمَانَ النَّابُلْسِيِّ فِي سِيَاسَةِ الأُرْدُنِّ بَيْنَ عَامَيْ ١٩٣٣-١٩٥٧م
نعمان عاطف عمرو، سامي محمد علقم ٤٦٣-٤٩٧

الإدَارَةُ المِصْرِيَّةُ لأَزَمَاتِ تَأْمِيمِ شَرِكَةِ قَنَاةِ السُّوَيْسِ
محمَّد السَّيِّد سِلِيم ٤٩٩-٥٤٥

المُرَبَّعَاتُ المُحَصَّنَةُ البَاقِيَةُ بِمَدِينَةِ العَيْنِ بِدَوْلَةِ الإمَارَاتِ العَرَبِيَّةِ المُتَّحِدَةِ
(دِرَاسَةٌ أَثَرِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)
تامر مصطفى محمد الحسيني النجار ٥٤٧-٥٨٣

قَطَرُ فِي مَرْحَلَةِ تَحَوُّل المَلامِحُ الأَسَاسِيَّةُ لعَهْدِ الشَّيْخ حَمَد بن خَلِيفَة
آل ثَانِي ١٩٩٥-٢٠١٣م
يوسف إبراهيم العبد الله ٥٨٥-٦٠٧

الخَلِيجُ العَرَبِيُّ ـ الاتِّجَاهَاتُ الحَدِيثَةُ فِي كِتَابَةِ التَّارِيخِ المُعَاصِرِ
(دِرَاسَةٌ فِي تَطَوُّرِ المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)
فتحي العفيفي ٦٠٩-٦٤٢

MEMORY AND FUTURE OF HISTORY
KHALED AZAB 5-23

المجلة التاريخية المصرية ٥٠ (٢٠١٦)، ٣٥١ ـ ٤٠١

حَمَد البَاسِل ودوره في السِّياسَة المِصريَّة

سليمان محمد حسين

كان من بين الأسس التي قامتْ عليها سياسة محمد علي عملية توطين البدو، ومنْحهم المساحات الكبيرة من الأراضي؛ بهدف إغرائهم للتحوُّل من حياة السلب والنهب إلى عناصر منتِجَة في المجتمع، على أساس أنهم ثروة بشرية يمكن الإفادة منها.

وقد لقِيَتْ هذه السياسة الكثير من المصاعب؛ نظرًا لأن البدو كانوا يَأْنَفُون من معيشة الفلاحين ويتمسَّكون بأسلوب معيشتهم، ومع زيادة الضغوط التي مارستْها الدولة عليهم ـ بمحاربتهم تارة، وترغيبهم تارةً أخرى ـ لم يكن أمامهم مفر سوى الانصياع لرغبات الدولة، إذْ لم يكد ينصرم القرن التاسع عشر حتى كان معظم البدو قد انصهروا في بَوْتَقَة المجتمع المصري.

ونظرًا لأن مساحات الأراضي التي أغرتْهم بها الدولة كانت كبيرة، فقد استثمرها شيوخ البدو في الزراعة، مما ساعدهم على تبوُّء مكانة اجتماعية متميزة وأصبحوا في عداد كبار ملاك الأراضي الزراعية، وظهر من بين هذه الشريحة - ذات الأصول القبلية - عدد من العائلات التي أُتيحت لها الفرصة بفضل هذه المكانة أن تلعب دورًا مؤثرًا وفعالًا في الحركة الوطنية، إبان فترة الاحتلال البريطاني، لا سيما أن شيوخ هذه العائلات أصبحوا يمتلكون المنازل الفخمة في القاهرة، مما جعلهم على مقربة من الأحداث السياسية[1].

---

(١) علي شلبي: الريف المصري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، القاهرة ـ دار المعارف =

ومِن بين هذه العائلات عائلة الباسل التي ينتمى إليها حمد الباسل، رفيق سعد زغلول في المنفى، وأحد رموز الحركة الوطنية المصرية، الذي كان يَقْطن في منزل كبير بشارع الداخلية بالقرب من منزل سعد زغلول[١].

وينتسب حمد الباسل إلى قبيلة الرماح التي استقرت بالفيوم، وهي فرع من فروع قبيلة الفوايد التي نَزَحَت من ليبيا إلى مصر في أواخر القرن الثامن عشر، وانتشرت فروعها في الفيوم وبني سويف والمنيا.

أمَّا والدُهُ محمود بن محمد الباسل، عُمْدَة قبيلة الرماح، فكان يمتلك مساحات واسعة من أراضي الفيوم التي منحتها له الدولة، وقد زاد ابنه حمد من مساحة هذه الأراضي عندما اشترى في عام ١٩٠٣ بالفيوم ٨٨٢ فدانًا بأرض تطون، ثم اشترى بعد ذلك ببلدة قصر الباسل ١٢٣٩ فدانًا[٢]، بحيث أصبحت المساحة الكلية التي يمتلكها هو وشقيقه عبد الستار الباسل ٣٧٠٠ فدان، وبذلك أصبحا من كبار أَعْيان الفيوم[٣].

تكوينه السياسي

لم يَظهر حمد الباسل فجأةً مع ثورة ١٩١٩، لكنَّ مُتَتَبِّع حياة هذا الرجل قبل

= ١٩٨٣، ٢٦٣-٢٧٣، ٢٩٠. عاصم الدسوقي: كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري، القاهرة ـ دار الشروق ٢٠٠٧، ٢٦٣.

(١) مذكرات حسين رشدي (سكرتير حمد الباسل): حمد الباسل يُعطيني درسًا في الكرم، منشورة بمجلة الفتاة، العدد ٢١ مارس ١٩٣٨م.

(٢) علي بركات: تطور الملكية الزراعية في مصر ١٨١٣ ـ ١٩١٤ وأثره على الحركة السياسية، القاهرة ـ دار الثقافة الجديدة ١٩٧٧، ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٣) *Report from Ministry of Interior, Adviser's office: «Note on the First Elections for the Egyptian Legislative Assembly»,* by RONALD GRAHAM, December 29. 1913. Foreign office series 371/volume 1964/file 15252. p.6.

وقوع هذه الثورة بعدة سنوات سوف يقف على بعض الشواهد التي كان لها دور مهم في تشكيل فكره السياسي ؛ ففي عام ١٩٠٩ تخلى عن منصب العمدة لأخيه عبد الستار ، بعد أن انتُخِب عضوًا في لجنة النفي الإداري بمديرية الفيوم ، ثم عضوًا في لجنة تعداد العربان ، وفي عام ١٩١٠ عُين في لجنة العربان الاستثنائية ، وفي عام ١٩١١ عُين في مجلس مديرية الفيوم ، ثم انتُخِب عضوًا في الجمعية التشريعية في انتخابات يوليه عام ١٩١٣، وبدأت اجتماعاتها في يناير ١٩١٤ ثم أوقفت عند اندلاع الحرب[١] .

وإلى جانب تدرُّج حمد الباسل في هذه المناصب فقد نال الكثير من الرُّتَب والنياشين نظير خدماته الكثيرة في المجتمع ، خاصةً في مجال التعليم ، فقد منحه الخديوي توفيق نيشان الرتبة الثالثة ، ثم حصل على نيشان الرتبة الثانية ، كما حصل على رتبة الباشوية مرتين ، الأولى من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، والأخرى من السلطان حسين كامل[٢] .

والواقع أن انتخابه عضوًا في الجمعية التشريعية خاصةً قد هيأ له فرصة كبيرة للمشاركة في المناقشات مع عدد كبير من السياسيين المصريين في الكثير من الموضوعات ، التي تتعلق بمصالح البلاد في المجالات كافة ، فضلًا عن كَوْنه قد نشأ في عيشة رغدة وفَّرت له قسطًا من التعليم والثقافة ، فعلى الرغم من لباسه العربي ولهجته البدوية فإنه كان ملمًا بمبادئ اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وعلى دراية ببعض المصطلحات في الكثير من اللغات الأجنبية الأخرى التي كان يستخدمها في حواراته ، في أثناء جلوسه في نادي محمد على مع الساسة المصريين

---

(١) لمعي المطيعي : هؤلاء الرجال من مصر ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣، ٣: ١٠٢ـ ١٠٤.

(٢) ذكريات حمد الباسل ، الدنيا المصورة ، العدد ١٤١ في ٨ من أبريل ١٩٣١.

والأجانب، مما جعله محبوبًا من الجميع[١].

كما هيَّأتْ له مكانته الاجتماعية فرصة الانفتاح والاحتكاك بالمجتمعات في الكثير من المدن والعواصم الخارجية، والوقوف على ما يجرِي بها وبغيرها من الأحداث السياسية، ويتمثل ذلك من خلال سفره إلى إسطنبول للتنزه بها في صيف ١٩١٤، كذلك من خلال صداقته لأنور باشا أكبر القواد الأتراك، لذا تعرَّف على الكثير مما يدور في العالم من متغيرات سياسية، لدرجة أن السلطات البريطانية استجوبتْه بعد ذلك عن سر علاقته بأنور باشا[٢].

أمَّا في داخل مصر فقد كان يقضِي الكثير من السهرات الليلية مع سعد زغلول، ومحمد محمود، وباقي أعضاء «حاشيته» على حد تعبيره، بمنزله أو بمنزل سعد زغلول، وفي تلك السهرات كانت المناقشات تدور حول أحداث الحرب (العالمية الأولى)، ومصير مصر بعد الحرب إذا تمَّ الفوز للحلفاء، أو التكهُّن بما قد تؤول إليه أمور البلاد في حالة انتصار ألمانيا وحلفائها[٣]. لذا فإن كل هذه العوامل السابقة قد أثَّرت ـ بلا شك ـ في تكوين الفكر السياسي لحمد الباسل.

على أيَّة حالٍ عندما اقتربت الحرب من نهايتها، وأصبح من المحقَّق أن تكون الكلمة الأخيرة فيها لإنجلترا وحلفائها، أخذت تصل إلى مسامع سعد زغلول وأقرانه، ومن بينهم حمد الباسل، الجهود التي تبذلها الشعوب الصغيرة وفي مقدمتها الشعوب الصقلبية، أي شعوب البلقان الخاضعة للعثمانيين آنذاك، لعرض قضيتها بعد انتهاء الحرب، بعدما أعلن الرئيس الأمريكي ولسن عن مبادئه الأربعة عشر، التي تنادي بمساواة الأمم وحقها في الحرية وتقرير المصير[٤].

---

(١) *Reports of the Leading Personalities in Egypt.* January, 1930. F.O. p.6.

(٢) ذكريات حمد الباسل، مرجع سبق ذكره.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

انضمامه للوفد

جاء انضمام حمد الباسل إلى الوفد في أعقاب المقابلة المشهورة بين سعد زغلول وزميليه عبد العزيز فهمي وعلي شعراوي ، التي جمعتهم مع السير ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في ١٣ من نوفمبر ١٩١٨، حيث أبدى المندوب السامي خلال مقابلته مع رئيس الوزراء حسين رشدي دهشته وعدم اقتناعه بأمر سعد زغلول وصاحبيه ، مبررًا ذلك بأنهم ليست لهما صفة التحدث باسم الأمَّة ، فأجابه رشدي باشا بأنهم يملكون ذلك باعتبار سعد وكيلًا منتخبًا للجمعية التشريعية ، وأن زميلَيْهِ عضوان فيها ، مؤكدًا أن الجمعية ما زالت قائمة من الناحية القانونية[١] .

على إثر ذلك قرَّر سعد زغلول وأصحابه تأليف هيئة تُسمَّى الوفد المصري للمطالبة باستقلال مصر ، وأن تحصل هذه الهيئة على توكيلات الأمة ، وبدأ تأليف الوفد من كلٍّ من : سعد زغلول ، وعلي شعراوي ، وعبد العزيز فهمي ، ومحمد علي علوبة ، وعبد اللطيف المكباتي ، ومحمد محمود ، وأحمد لطفي السيد ، وفي الوقت نفسه رأى سعد زغلول أن مصلحة القضية الوطنية تقتضى تدعيم الوفد بعناصر جديدة تُمثِّل أغلبية الأمة ، لذا تم ضم إسماعيل صدقي ، ومحمود أبو النصر ، كما تم ضم مصطفى النحاس وحافظ عفيفي باعتبارهما من المتعاطفين مع الحزب الوطني ، وأيضًا سينوت حنا وچورچي خياط ممثلَيْنْ للأقباط ، ثم تقرر ضم حمد الباسل بوصفه من الأعيان وممثلًا لعنصر من عناصر الأمة وهم البدو[٢] .

---

(١) محمد السعيد إدريس : حزب الوفد والطبقة العاملة المصرية ، القاهرة ـ دار الثقافة الجديدة ١٩٨٩، ٢٥.

(٢) محمد علي علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥، ١٤٧.

لقد مضى حمد الباسل وغيره من أعضاء الوفد في جمع التوكيلات رغم العراقيل التي وضعتْها في طريقهم سلطات الاحتلال ؛ ومن ذلك استدعاء مستشار الداخلية المستر هينز له وكلٍّ من : عبد العزيز فهمي ، وعلي شعراوي ، وأحمد لطفي السيد ، وتهديدهم بعدم الاشتراك في هذا الأمر ، وتحذيرهم من إلقاء المسئولية عليهم ، لكنهم رفضوا هذه التحذيرات ، على اعتبار أن هذا حق مشروع لهم[١] .

وكما هو معروفٌ حاول الوفد المصري بشتى السُّبُل السماح له بالسفر لعرض القضية المصرية أمام مؤتمر الصلح في باريس ، لكنَّ كل محاولاته باءت بالفشل بسبب رفض الحكومة البريطانية ، وهنا راودتْ أعضاء الوفد فكرة عقْد اجتماع كبير في منزل سعد زغلول ، يُدْعَى إليه الأعيان وأصحاب المصالح في مصر ، ليُعْلَن لهم تأليف الوفد المصري ، وتُوَضَّح لهم سياسته وأهدافه ، غير أن السلطات العسكرية البريطانية منعَتْ عقْد الاجتماع في دار سعد أو في أي مكان آخر[٢] .

وهنا تظهر أهمية الدور الذي قام به حمد الباسل في الحركة الوطنية ، عندما وجَّه الدعوة لعدد كبير من أعضاء الجمعية التشريعية وكبار الأعيان وذوي الآراء لحفلة شاي في منزله في ١٣ من يناير ١٩١٩، وذلك لسماع كلمة الوفد وتدارُس الأمر بما يجب عمله للحصول على الاستقلال ، وقد لقِيَ هذا الاقتراح استحسانًا كبيرًا من سعد وأصحابه[٣] .

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، القاهرة ـ مركز تاريخ مصر المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦، ٧: ١٧٩.

(٢) المرجع نفسه ، ١٨٢.

(٣) عبد الرحمن فهمي : يوميات مصر السياسية ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨، ١: ٩٢.

كان حمد الباسل يعلم في قرارة نفسه أنه بإقدامه على هذا العمل يتحدَّى سلطات الاحتلال، وقد أشار إلى ذلك في أحد أحاديثه الصحفية بقوله: «... وحذرني بعض أصدقائي يومئذ من إقامة هذه الحفلة، كما حذروا سائر أعضاء الوفد من المضي في حركتنا، مذكِّرين إيانا أن سيف الأحكام العسكرية لا يزال مُسلَّطًا على الرقاب، فقلنا لهم إننا أقدمنا على ما أقدمنا عليه ونحن عارفون بالأخطار التي تحيط بنا، فنحن مستعدون لكل تضحية».

لذلك أعدَّ للأمر عُدَّته؛ حيث أقام حول داره سرادقًا كبيرًا يحُول دون تمكُّن الكثيرين في الطريق من رؤية ما يجري في فناء منزله[1]، وقد حضر الحفل عدد من الصحفيين، وألقَى سعد زغلول أول خطبة سياسية بعد تأليف الوفد، وبدأها بتوجيه الشكر لحمد الباسل على تهيئة هذه الفرصة له، ثم شرح كيفية تأليف الوفد والغرض الذي يرمِي إليه، وكيف حظرت عليه السلطة العسكرية السفر إلى الخارج[2].

وقد رأت السلطات البريطانية في اجتماعات الوفد واحتجاجاته المتوالية لدى معتمدي الدولة الأوربية تحديًا وتشهيرًا بها وبتصرفاتها، فأقدمَتْ على اعتقال سعد زغلول وحمد الباسل وإسماعيل صدقي ومحمد محمود. وقد تضاربت الآراء حول اختيار أصحاب سعد الثلاثة الذين اعتُقِلوا معه، فذهب الرافعي إلى أن السبب في ذلك أنهم يَحْمِلون رتبة الباشوية، وهذا يجعلهم مع سعد أهم الأعضاء، على حين رأى محمد علي علوبة أن السبب في ذلك أن محمد محمود رغم تعليمه في جامعة أكسفورد، وترقِّيه في المناصب العليا تحت إشراف الإدارة البريطانية، فإنه قد حدثتْ بينه وبين الإنجليز جفْوَة، حين رفض الرضوخ لهم بما

---

(١) الدنيا المصورة، ذكريات حمد الباسل، العدد ١٤٢ في ١٥ من أبريل ١٩٣١.

(٢) عبد الرحمن الرافعي: ثورة ١٩١٩، تاريخ مصر القومي من ١٩١٤- ١٩٢١، القاهرة - دار المعارف ١٩٨٧، ١٦٧.

يُمليه عليه ضميره ، وألحَّ على سعد وغيره في تكوين الوفد ، أمَّا إسماعيل صدقي فقد انضم إلى الوفد وأظهر فيه نشاطًا ملاحَظًا ، وقدَّم تقريرًا للوفد عن السودان مما يتعارض مع سياسة بريطانيا ، وفيما يختصُّ بحمد الباسل فإنه ينتمِي إلى قبائل عربية له فيها زعامة ، وعَقَدَ الوفد في منزله اجتماعات عامة حضرها كثير من الناس ، وأُلقِيَتْ فيها خطب نُشِرَتْ في الصحف[١] ، ونحن مع هذا الرأي الذي أبداه علوبة ، على اعتبار أن تلك الأسباب كانت أدْعَى من الناحية الأمنية لاختيار هؤلاء الثلاثة على وجه التحديد .

ومهما كان الأمر ، فقد ألقت سلطات الاحتلال القبض على سعد زغلول ومحمد محمود الذي تصادف وجوده معه ي منزله ، كما تم القبض على إسماعيل صدقي في كلوب محمد علي ، وفي أثناء ذلك كان حمد الباسل في زيارة إبراهيم سعيد باشا ، وهناك دخل عليه أحد أصدقائه ويُدْعَى خيرت باشا وأخبره بما حدث ، وأفهمه أنهم بالتأكيد قد سألوا عنه ولم يجدوه ، وهنا غلبَتْ على حمد الباسل طبيعته البدوية فنهض في رد فعل سريع ، وذهب إلى قشلاق قصر النيل رأسًا ، ودخل على ضابط النوبتجية ، وقال لهم أنا حمد الباسل «وقد بلغني أنكم تبحثون عني فلم تجدوني ، فلما علمت بالخبر أسرعت بالمجيء إلى هنا لكي أنال شرف الانضمام إلى الذين سبقوني ، وبعد محادثة تليفونية وجيزة تقدَّم مني أحد الضباط وأدى لي التحية العسكرية ، وقال لي بالإنجليزية ما معناه أنه مقبوض عليَّ . ثم قادوني إلى حجرة مجاورة للحجرة التي أُعِدَّتْ لزملائي الثلاثة ، فجلست فيها قليلًا ثم خرجت أسير في الرواق ، فالتقيت بهم فاجتمعنا كلنا في غرفة سعد باشا ...»[٢] .

---

[١] محمد علي علوبة : مرجع سبق ذكره ، ١٠٣.

[٢] الدنيا المصورة ، ذكريات حمد الباسل ، العدد ١٤٢ في ١٥ من أبريل ١٩٣١.

وفي الليلة نفسها التي تم فيها الاعتقال أخبرهم الضابط الإنجليزي أن يطلبوا من ذويهم أن يُعدوا لهم الملابس التي تكفيهم لمدة شهر، وأن يكونوا مستعدين للسفر في الثامنة من صباح اليوم التالي، دون أن يخبرهم عن الجهة التي سيتم نَفْيهم إليها، وفي الحادية عشرة صباحًا أقلَّهم القطار إلى بورسعيد في حراسة مشددة، ثم أقلتهم الباخرة «كالدونيا»، وعندما أصبحوا في عرض البحر أخبرهم الضابط الإنجليزي أنهم مَنْفِيُّون إلى مالطة[١].

وذَكَر سعد زغلول في مذكراته أن حمد الباسل قد هوَّن عليهم هذه الرحلة الصعبة، إذ يقول: «وكنا نضحك أحيانًا عندما يكون هناك سبب يقتضيه، ولطريقة حمد باشا الباسل في حسن التوكل، وجميل التحمل، وإليه يرجع الفضل في تلطيف الأمر علينا»[٢].

وقد أدى القبض على سعد وصحبه إلى إثارة الرأي العام واندلاع ثورة ١٩١٩ التي شملت طوائف المصريين جميعًا، وامتدت المظاهرات إلى شتى المدن المصرية، لذلك أسرعت بريطانيا إلى تعيين اللورد اللنبي مندوبًا ساميًا، في محاولة منها لتصفية الثورة، ولأنه كان يجمع بين الشِّدَّة واللِّين، فقد أشار على حكومته بإطلاق سراح سعد وزملائه، والسماح لهم بالتوجه إلى باريس[٣].

ويذكر حمد الباسل أنه تلقى هو وزملائه هذا الخبر من الضابط الإنجليزي بالسرور، وأقام لهم المصريون المنفيون بمالطة حفلة وداع، خطب فيها سعد زغلول موضحًا تمسكه بالمبادئ الوطنية، ثم ما لبثوا أن توجهوا في الصباح ليركبوا الباخرة

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) مذكرات سعد زغلول، القاهرة ـ مركز تاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨، ٩: ٣٨.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى المعاهدة، القاهرة ـ مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٤، ١١١ ـ ١١٧.

التي ستنقلهم من مالطة إلى باريس، وتصادف أنها السفينة نفسها (كالدونيا)، التي نقلتْهم إلى منفاهم إلى مالطة من قبل، كما أَغْبَطَهم وجود أعضاء الوفد المصري على متنها وانضمامهم لهم ليتجهوا سويًا إلى باريس[١].

وقد فُوجِئ الوفد عند وصوله إلى باريس بقرار الرئيس الأمريكي ولسن بالاعتراف بالحماية البريطانية على مصر، وقد أثَّرَ ذلك في عَضُدِ بعض أعضاء الوفد، لكن عددًا آخر ومنهم حمد الباسل رأَوْا أن يستمروا في مسعاهم لتحقيق غايتهم، لذا استمروا يطرقون أبواب ممثلي الدول، ويتصلون بالصحف، ويقيمون المآدب للدعاية للقضية المصرية، ويرسلون الرسائل إلى زعماء المؤتمر وإلى مختلف الحكومات والمجالس النيابية، لكنهم لم يجدوا صدًى يتناسب مع هذه الأعمال[٢].

في أعقاب ذلك بدأت الانقسامات والاختلافات تدبُّ بين سعد زغلول وعدد من أعضاء الوفد، ومن بينهم حمد الباسل، ويَعْزُو البعض ذلك إلى انعدام الثقة بين الأعضاء، وظن كل عضو في نفسه أنه قائد الأمة، فضلًا عن محاولة سعد تضخيم سلطاته بصفته رئيسًا للوفد، مما أدى إلى نُفُور بعض أعضاء الوفد منه[٣].

لكنَّ السؤال الذي يفرض نفسه هنا: ما دور حمد الباسل وسط هذه الانقسامات والاختلافات؟ للإجابة عن ذلك يجب أن نُشير إلى أن علاقة حمد الباسل بسعد زغلول لم تكن على وتيرة واحدة، إنما تأرجحَتْ بين التأييد له في وجهات نظره في بعض المواقف تارةً، والقيام بدور الوسيط بينه وبين معارضيه تارةً ثانية، والاختلاف معه تارةً ثالثة. ومن مظاهر تأييده مواقفَ سعد زغلول تلك

---

(١) الدنيا المصورة، العدد ١٤٣ في ٢٢ من أبريل ١٩٣١.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ١٢١ - ١٢٤.

(٣) عبد الرحمن الرافعي: ثورة ١٩١٩، تاريخ مصر القومي، ٤٦١ - ٤٦٣.

الجلسة التي جمعَتْه به بحضور سينوت حنا ومحمد علي علوبة ، وفيها اقترح سعد زغلول ضرورة تعيين بعض أعضاء الوفد في الوزارة المزمع تأليفها للمفاوضات الرسمية ، وكانت وجهة نظره في ذلك أن تكون أغلبية الوزارة من أعضاء الوفد ، لأنه لا يمكنه هو شخصيًا الدخول في الوزارة لأسباب خاصة ، فوافقه حمد الباسل وسينوت حنا على ذلك ، في حين رفض محمد علي علوبة حتى لا يظن البعض أن أحدًا من الوفد يعمل لمصالحه الخاصة[١] .

أما بشأنِ قيام حمد الباسل بدور الوسيط بين سعد زغلول ومعارضيه من أعضاء الوفد ، فيمكن أن نَلْمَسَها في مواضعَ عدة ؛ نذكر منها الخلاف الذي نشب بين سعد وعبد اللطيف المكباتي ، بسبب تشبث الأخير بمنصب أمانة صندوق الوفد ، رغم اعتراضات سعد على تصرفاته والاتفاق بين معظم الأعضاء على إقالته[٢] .

وتكشف مسألة إقالة المكباتي عن وجود بعض الاختلافات في وجهات النظر بين حمد الباسل وسعد زغلول ؛ حيث وقف حمد الباسل ومصطفى النحاس موقف المعارِض لها رغم موافقة سعد والأغلبية عليها ، ويحلل سعد زغلول ذلك بأن معارضة الباسل والنحاس ترجع إلى اتحادهما مع المكباتي ، وفي ذلك يقول : «ويظهر لنا أن هؤلاء الثلاثة متحدون معًا على أن يكون رأيهم النافذ في الوفد ، وهم الذين يُديرون دفته ، وأن غيرهم لا يُعْتَد به من جانبهم ، وأنا لا يمكن أن أقبل هذا مطلقًا»[٣] .

وعلى نحوٍ مماثل وقف حمد الباسل موقفًا مخالفًا لموقف سعد زغلول فيما يتعلق بسفر محمد محمود إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لعرْض القضية المصرية

---

(١) محمد علي علوبة : مرجع سبق ذكره ، ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) مذكرات سعد زغلول ، ٩: ١٤٢.

(٣) المرجع نفسه ، ١٤٢.

على أعضاء الكونجرس والدوائر السياسية هناك ، مما دفع سعد زغلول للرد عليه بعنف[١] .

وقد زادت حِدَّة التوتُّر بين حمد الباسل وسعد زغلول ، بصفة خاصة ، بعدما نَشرت صحيفة التايمز مقالًا عن الأعضاء الأصليين المنضمين إلى الوفد على لسان سعد زغلول ، مما اعتبره حمد الباسل إهانة لشخصه ، وحاول سعد زغلول تهدئة حمد الباسل وإقناعه أنه لا يقصده ، لكنه فشل ، مما أدَّى إلى حدوث مشادةٍ كلاميةٍ بينهما ، خرج على إثرها حمد الباسل غاضبًا[٢] .

والواقع أن كثرة المشكلات والخلافات بين سعد وبعض أعضاء الوفد ، نتيجةً لتمسُّك سعد بآرائه ومواقفه ، جعلت حمد الباسل يقاطع اجتماعات الوفد وينضم إلى الجمعية المصرية في باريس[٣] .

وعندما لاحظ سعد زغلول تغيُّب الباسل عن جلسات الوفد أرسل إليه في ٣ من يناير ١٩٢٠، وناقشه في ذلك الأمر ، فرد عليه بأنه رأى أن أمور الوفد تُخفَى عليه ، وأن رأيه لم يعد نافذًا في الوفد ولا محترمًا ، وأن انضمامه إلى هذه الجمعية لا يتنافى مع كونه عضوًا في الوفد ، وأشار الباسل إلى أن أعضاء الجمعية قد أعلنوا انضمامه إليها دون علمٍ منه ، وأن أخاه عبد الستار يعمل في مصر مع هذه الجمعية

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، ١٠٢.

(٢) المرجع نفسه ، ١٣٥، ١٣٦.

(٣) كانت هذه الجمعية واحدة من عدد من الجمعيات التي كوَّنها الطلبة الذين يدرسون في الخارج ، نتيجة تأثرهم بأفكار مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكان هدفهم من تأسيس هذه الجمعيات خدمة قضية بلادهم ، والحصول على الاستقلال من خلال عقد المؤتمرات وطبع الكتب والمذكرات لتنوير الرأي العام الأوربي بالقضية المصرية . لمزيد من التفاصيل راجع : عاصم محروس عبد المطلب : دور الطلبة المصريين في الحركة الوطنية ١٩١٩ـ ١٩٥٢، رسالة دكتوراه منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨، ٢٤٢ـ ٢٦٥.

لجمع الأموال التي تساعد الوفد ، وأشار الباسل إلى أن هذه الجمعية مؤلَّفَة من شبان نابغين يرتاح إليهم[١] . ويبدو ـ كما هو واضحٌ من رد حمد الباسل ـ أنه شَعُر بمكانته بين أعضاء هذه الجمعية بعيدًا عن مشاكل الوفد .

في واقع الأمر إن سعد زغلول ، رغم كل المشكلات والخلافات التي نشبت ، كان حريصًا على لَمِّ شمْل الوفد وعدم الانقسام بين صفوفه ، حرصًا على المصلحة الوطنية ، ولعل هذا ما دفعه إلى إِثْناء حمد الباسل عن موقفه وترك الجمعية المصرية ، لأن أعضاءها من الطلبة وليسوا في مرحلة عُمْرِيَّة مقاربة له ، وفي ذلك يقول سعد زغلول:

«فأبنْتُ له وجه خطئه ، وأن التحاقه بشبان ليس منهم في غير محله ، وأن لهم عملهم وللوفد عمله ، ولكلٍ وسائل تناسبه ، ورأي يكتب به ، وأن لهم عملهم وللوفد عمله ، وما يقبله رجل لا ينبغي لرجل آخر أن يفعله ... وغير ذلك مما يؤثر ، ولكنه لم يتأثر»[٢] .

على أيَّة حالٍ لم يمضِ وقت طويل حتى عاد حمد مرةً أخرى إلى صفوف الوفد وانتظم في جلساته ، ثم لم تلبث أن تجدَّدَت الخلافات بينه وبين سعد لدرجةٍ وصلت إلى تبادل السباب ، ويدل على ذلك ما ذكره محمد علي علوبة من أنه عندما قرر الوفد السفر إلى لندن للمفاوضة «سأل حمد الباسل سعدًا بحضورنا ، عما إذا كانت السيدة حرمه ستسافر أيضًا إلى لندن ، فأجابه بجواب غير طبيعي ولا منتَظَر ، إذْ قال له وما شأنك والسيدة حرمي ، إنها سفاهة ، وعزَّ ذلك على حمد الباسل ، فقال له من فوره : هل أنا سفيه؟ أنت السفيه ، ولم يرد عليه سعد لأنه أدرك أنه هو المخطئ»[٣] .

---

[١] محمد علي علوبة : مرجع سبق ذكره ، ١٢٣.

[٢] مذكرات سعد زغلول ، ٩: ١٥٧ ـ ١٥٧.

[٣] محمد علي علوبة : مرجع سبق ذكره ، ١٢٣.

وبغض النظر عن الخلافات التي نشبت بين حمد الباسل وبعض أعضاء الوفد من ناحية، وبينه وبين سعد من ناحية أخرى، إلا أن الجميع قد قرروا السفر إلى لندن بعد أن علِمُوا رغبة اللورد ملنر في فتح باب المفاوضات معهم، واقترح الأعضاء أن تتألف طليعة الوفد المسافِر إلى لندن من كلٍّ من: سعد زغلول، وعبد العزيز فهمي، وعلي ماهر. ثم اقترح حمد الباسل أن يسافر معهم مصطفى النحاس سكرتيرًا، ووافق الجميع على رأيه[١].

وفي ٢٨ من أكتوبر ١٩٢٠ سافر حمد الباسل إلى لندن مع بقية أعضاء الوفد، وكان رأيه متفقًا مع رأْي بعض أعضاء الوفد، وهم: محمد محمود، وأحمد لطفي السيد، ومحمد علي علوبة، على أن الطريقة الوحيدة في المفاوضات مع ملنر أن يكتب له بالتحفظات التي تساعد المشروع أمام الجمعية الوطنية، وألَّا يقوموا بمعاكسة وزارة الثقة (وزارة عدلي يكن) إذا وضعَتْ مشروعًا على هذا الأساس، لكنَّ سعدًا وفريقًا معه كانوا يرَوْنَ معاكسة أيَّة وزارة ما لم يتم في الحال الموافقة على كل طلبات الوفد[٢].

بغض النظر عن التفاصيل فشلت المفاوضات، وعاد جميع أعضاء الوفد إلى باريس، وزادت الجَفْوَة بين سعد وبقية أعضاء الوفد، لدرجة أنه لم يذهب إلى مقر الوفد طيلة خمسة عشر يومًا إلا مرةً واحدة، وخلال هذه الفترة كان يرسل الخطابات والنداءات إلى مصر دون أن يُطلع عليها أعضاء الوفد، مما دعا حمد الباسل وعبد اللطيف المكباتي ومحمد محمود ولطفي السيد ومحمد علي علوبة إلى إرسال خطاب له موقَّعٍ بإمضائهم، يحتجُّون فيه على انفراده بالعمل دون أن يُطْلِعهم على شيء، وقد لاقى هذا الخطاب صدًى في نفس سعد زغلول، فعاود

---

(١) محمد علي علوبة: مرجع سبق ذكره، ١٥٠.

(٢) نفسه، ١٥٣.

الجلوس مع أعضاء الوفد ، ودعا حمد الباسل وعبد اللطيف المكباتي للاجتماع معه بهدف تصفية الخلافات التي كانت قائمة بينهم ، ونجح في ذلك بحضور على ماهر[١] .

على أيَّة حالٍ لم يعد أمام حمد الباسل ولطفي السيد ومحمد محمود والمكباتي وعلوبة سوى العودة إلى مصر بعد فشل المفاوضات مع ملنر من ناحية ، وتباعد وجهات النظر بينهم وبين سعد زغلول من ناحية أخرى ، حيث استقلوا الباخرة سفنكس التي أقلعت بهم من ميناء مرسيليا في ٢٠ من يناير ١٩٢١[٢] .

وصل حمد الباسل وبقية أعضاء الوفد إلى مصر في ٢٦ من يناير ١٩٢١، واستقبلتْهم جموع الأمة استقبالًا هائلًا ، ورغبةً منهم في توحيد الصف اجتمعوا مع إخوانهم الموجودين بلجنة الوفد المركزية ببيت الأمة ، وقرر الجميع تأييد الوفد في خطته والثقة برئيسه الذي وصل إلى مصر في ٤ من أبريل ١٩٢١، وتم استقباله بحفاوة شديدة ، جعلتْه يطمئن على مكانته بين أفراد الشعب ، ويُصمم في أثناء مفاوضاته مع عدلي يكن على تشكيل هيئة المفاوضين ، وأن يكون هو رئيس الوفد المفاوض ، في حين يتمسَّك عدلي بأحقيته في ذلك باعتباره رئيس الوزراء[٣] .

وقد حاول حمد الباسل جاهدًا أن يُثني أيًا منهما عن موقفه لمصلحة القضية الوطنية ، مذكِّرًا كلا الطرفين أن موضوع الرئاسة مسألة شكلية ، لكنَّ محاولاته لم تُفلح في رَأْبِ هذا الصَّدْع ، وعندئذٍ أَرسَل حمد الباسل مع زملائه محمد محمود ، ولطفي السيد ، والمكباتي ، وعلوبة خطابًا إلى سعد زغلول ، يُعلنون فيه

---

(١) مذكرات سعد زغلول ، ٩: ١٦٧.

(٢) محمد علي علوبة : مرجع سبق ذكره ، ١٦٧.

(٣) عبد الرحمن فهمي : يوميات مصر السياسية ، القاهرة ـ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٩٦، ٣: ٢٤٠.

ثقتهم في وزارة عدلي يكن، ويحمِّلونه مسئولية هذا الانشقاق، على حين اعتبرهم سعد زغلول منشقِّين عن الوفد[١].

في واقع الأمر إن إخفاق حمد الباسل في إثناء أيٍّ من الطرفَيْن عن موقفه جعله يُعلن عن استيائه لسير الأمور على هذا النحو، وقرر الاعتكاف في منزله، غير أنه رأى قبل الإقدام على هذه الخطوة أن يُبرئ ذمتَه، وقام في ٦ من مايو ١٩٢١ بإلقاء بيان إلى الأمة، مُفنِّدًا فيه أسباب خلافه والكثير من أعضاء الوفد مع سعد زغلول، وأرجع ذلك إلى مسألتَيْنِ؛ الأولى رئاسة الوفد المفاوض وتمسُّك سعد بها، والأخرى طرْح الثقة بالوزارة التي تمسَّك بها سعد ورفضها حمد وزملاؤه في جلسة ٢٨ من أبريل ١٩٢١[٢]. وقد أرجع حمد الباسل أسباب تفاقم الخلاف بين الطرفين إلى دخول عناصر غير مسئولة من خارج الوفد، عَمِلَتْ على زيادة حدة الخلاف بين الطرفين، فضلًا عن مغالاة كل طرف في التشدد من ناحيته[٣].

لم يَفُتْ حمد الباسل في بيانه إلى الأمة أن يطرح رؤيته الشخصية لحل هذه الأزمة؛ حيث رأى أن ينزل الجميع على إرادة الأمة، وذلك بأن تجتمع الجمعية التشريعية ومجالس المديريات تحت رئاسة رئيس الجمعية التشريعية، وأن يُؤْخَذَ رأي الأعضاء في الثقة بالوزارة ومساندتها، وإذا كان العكس وَجَبَ على الوزارة ترْك موقعها، واقترح أن يكون الاقتراع سريًا حتى لا يُقال إن الحكومة كان لها تأثير على المقترعين[٤].

مِن الواضح أن هوة الانشقاق بين الطرفين كانت عميقة، لدرجة أن أيًا منهما لم يعطِ لنفسه الفرصةَ للتأمُّل في الحل الذي قدَّمه حمد الباسل، مما جعله يعتكف

---

(١) الدنيا المصورة، العدد ١٤٢ في ١٥ من أبريل ١٩٣٢.

(٢) عبد الرحمن فهمي: يوميات مصر السياسية، ٣: ٣٥٠ ـ ٣٥٣.

(٣) الأهرام، العدد ١٣٤٢٣، في ٣٠ من أبريل ١٩٢١.

(٤) عبد الرحمن فهمي: يوميات مصر السياسية، ٣: ٣٥٠ـ٣٥٣.

في منزله ، ولم يشارك بقية الأعضاء المنشقين (محمد محمود ، وأحمد لطفي السيد ، ومحمد علي علوبة ، وعبد اللطيف المكباتي ، وعبد العزيز فهمي) في البيانات التي ألقوها إلى الأمة يهاجمون فيها سياسة سعد زغلول في الفترة من مايو إلى ديسمبر ١٩٢١، وهي الفترة التي أُطلِق عليها فترة الاقتتال[١] .

وعند تحليل موقف حمد الباسل نجد أن معالجته للموقف المتأزم كانت قائمة على الفصل بين خلافاته مع سعد زغلول ، والتحالف مع خصومه ضده ، ويفسر ذلك أمران ؛ الأول عدم اشتراكه في البيانات التي أصدرها المعارضون لسياسة سعد ، والآخَر رفْضه الاشتراك معهم في تأليف حزب الأحرار الدستوريين أو الانضمام إلى حزب جديد آخر ، وقد عبَّر الباسل عن موقفه هذا بقوله : «وبعد مدة قصيرة أخذ دولة عدلي يكن باشا وأصدقاؤه وأنصاره يشتغلون بتأليف حزب الأحرار الدستوريين ، وظنوا أن توتر العلاقات بيني وبين سعد باشا وانقطاعي عن زيارة بيت الأمة يساعدهم على استمالتي إلى جانبهم ، وكاشفني بعضهم بفكرة الانضمام إلى حزبهم فقلت لهم إنه إذا كان قد حدث ما حدا بي إلى الانقطاع عن سعد باشا ، فهذا ليس معناه الموافقة على هدمه ، فقد شاءت العناية الإلهية أن يكون سعد باشا رمزًا للأماني القومية وممثل الشعب والمتكلم باسمه ، فمن الحرام أن نسعى للنيل منه لأننا بذلك نُقيم العقبات في سبيل جهادنا المقدس»[٢] .

على أيَّة حالٍ ، مضت وزارة عدلي يكن في المفاوضات مع الإنجليز وسط انقسام الأمة إلى سَعْدِيين وعَدْلِيين ، وأخذ أتباع «سعد» يهاجمون «عدلي» وأتباعه وينادون بسقوط الوزارة ، وردَّتْ عليهم السلطات العسكرية بعنفٍ ، مما أدى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى . ومن جهة أخرى قام أتباع عدلي يكن بمهاجمة

---

(١) عبد الرحمن فهمي : المرجع السابق ، مركز تاريخ مصر المعاصر ٢٠٠٣، ٤: ١٠-١٥.

(٢) الدنيا المصورة ، العدد ١٤٣ في أبريل ١٩٣١.

السعديين ، مما أدى إلى وقوع المصادمات بين الطرفين ، وازداد الوضع تأزُّمًا بإقدام عددٍ من أعضاء الجمعية التشريعية على سحب توكيلاتهم من سعد زغلول ، بتشجيع أنصار عدلي ومباركتهم ، المنشقين عن الوفد .

لعلَّ هذه التداعيات دفعت حمد الباسل إلى الخروج من عُزْلته وإلقاء بيان إلى الأمة في ٩ من نوفمبر ١٩٢١، يدعو فيه إلى تدارك الموقف والاتحاد وتلافي أسباب الخلاف بين السعديين والعدليين ، وعاب على أنصار عدلي ـ رغم أنه كان لا يزال على خلاف مع سعد ـ لجوءهم إلى السلوك الذي سلكه أتباع سعد ، على حين كانوا ينتقدونهم من قبل ، واستدل على ذلك بيت شعر يقول قائله:

وإذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهةً أساء

وحذَّر الطرفَيْن من أن المظاهرات والتنديد من كل طرف ضد الآخر في صالح الإنجليز ، ودعاهم إلى الكف عن هذه التصرفات التي تتعارض مع حُرْمَة الوطن ، ثم وجَّه حديثه إلى أعضاء الجمعية التشريعية ، منتقدًا إقدامهم على سحب توكيلاتهم من سعد زغلول دون أي مناسبة تدعو لذلك ، مذكِّرًا إياهم أن هذا التصرُّف ليس الهدف منه سوى النكاية والعداء لسعد زغلول ، وأشاد في نهاية بيانه بأعضاء الجمعية التشريعية الذين لم يسايروا زملاءهم في هذا الموقف ، ووضعوا الحكمة ومصلحة القضية الوطنية فوق العواطف ، ودعا الجميع إلى عدم السعي إلى هدم مركز سعد زغلول ، وأردف قائلًا : «إن مركزه متروك إلى الزمن وإلى نتيجة تصرفاته»[١] .

وكان من الطبيعي إزاء هذا الانقسام بين السعديين والعدليين أن تفشل مفاوضات «عدلي ـ كيرزون» ، لأن الإنجليز استغلوا ذلك الانقسام وغالوا في

---

[١] عبد الرحمن فهمي : يوميات مصر السياسية ، ٤: ٢١٢ـ ٢١٤.

شروطهم[١] ، وهذا ما كان يتوقعه حمد الباسل ويحذر منه ، ومن ثَمَّ دعا الأمة من جديد في ٦ من ديسمبر ١٩٢١ إلى توحيد الصفوف ونبْذ الخلافات وتكوين جبهة موحَّدة ضد الإنجليز[٢] .

إننا إذا تأمَّلنا لهجة البيانات التي كان يلقيها حمد الباسل إلى الأمة ، بهدف نبذ الخلافات وتوحيد الصفوف ، نجد أنها تحمل في طَيَّاتها نوعًا من الوُدِّ لسعد زغلول والاعتراف بمكانته بوصْفِهِ زعيمًا للأمة ، رغم أنه كان لا يزال في خصومةٍ معه ، وربما كانت ذكرياته معه لا تزال عالقةً بذهنه وماثلة أمام عينَيْهِ ، ويفسر ذلك أنه عندما وجَّه اللورد اللبني إنذارًا إلى سعد زغلول يُلزمه فيه بالإقامة في الريف والبُعْد عن السياسة ، استشعر حمد الباسل أن الإنجليز يبيِّتون النية للبطش بسعد واعتقاله ، فذهب مسرعًا إلى بيت الأمة ودخل عليه في مكتبه دون سابق إنذار ، قائلًا له : «لقد انقطعتُ عنك عندما لم تكن في حاجةٍ إليَّ ، ولم يكن هناك خطر يحيط بك ، أما وإنهم ينذرونك الآن ويهددونك فها أنا أتقدَّم إليك لأضع يدي في يدك معلنًا استعدادي لتحمُّل مثل ما ستتحمل» . وإزاء هذا الموقف من حمد لم يتمالك سعد نفسه فانهمرت الدموع من عينيه وهو يعانق حمد الباسل[٣] .

على أيَّة حال لم يرضخ سعد زغلول للإنذار الإنجليزي ، مما دفع السلطات العسكرية للقبض عليه مرة أخرى واعتقاله في ٢٣ من ديسمبر ١٩٢١، كما اعتقلت معه كلًا من فتح الله بركات ، وعاطف بركات ، ومصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وسينوت حنا ، وصدر الأمر بنفي سعد زغلول إلى جزيرة سيشل ، ثم نُقِل بعد ذلك إلى جبل طارق ، نظرًا لظروفه الصحية ، وكان من نتيجة ذلك أن هبَّت الأمة كلها ، خاصةً من المفكرين والكُتَّاب ، يطلبون من أعضاء الوفد

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سبق ذكره ، ١٣١.

(٢) عبد الرحمن فهمي : يوميات مصر السياسية ، ٤: ٢٧٧.

(٣) الدنيا المصورة ، العدد ١٤٣ في ٢٢ من أبريل ١٩٣١.

المنشقين أن ينسوا أسباب الانشقاق، وبَذَلَ حمد الباسل في سبيل هذا مجهودًا كبيرًا، وبالفعل ذهبوا جميعًا إلى بيت الأمة يوم ٢٨ من ديسمبر، حيث قابلوا صفية زغلول وأصدروا بيانًا إلى الأمة، يعلنون فيه اتحادهم والعمل على الاستقلال، كما ألقى حمد الباسل بيانًا إلى الأمة في صباح اليوم التالي، أعرب فيه عن ثقته في وطنية العائدين إلى الوفد[١].

غيْرَ أن هذا التضامن لم يَدُمْ طويلًا من جانب هؤلاء المنشقين، فيما اعتبره البعض أنه كان عاطفة وقتية، ما لبثت أن تجددت بعدها المشاكل لأسباب مختلفة[٢]. ففي أعقاب نفْي سعد زغلول ألقت السلطات الإنجليزية القبض على حمد الباسل لمدة سبعة أيام، باعتباره من العناصر المؤيِّدة لسياسة سعد والمناوئة للاحتلال البريطاني، وخلال فترة الاعتقال تمت دعوة حمد الباسل لمقابلة اللورد اللنبي في قصر الدوبارة، تحت حراسة مشددة، وفي هذه المقابلة وجَّه اللنبي اتهامًا للباسل بأنه يضع العراقيل هو وزملاؤه في طريق السياسة البريطانية، وجاء رد حمد الباسل عليه بالاعتراض على طريقة الاستدعاء التي تحمل الروح العدائية للإنجليز ضد المصريين، معترضًا بشدة على نوع الرصاص الذي يستخدمه الإنجليز من نوع

---

(١) عبد الرحمن فهمي: يوميات مصر السياسية، ٤: ٣٢٨ ـ ٣٣١. أحمد زكريا الشلق: حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ـ١٩٥٣، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٢.

(٢) يعزو البعض خروج المنشقين عن الوفد مرةً أخرى بسبب الخلاف في اختيار الأعضاء الجدد الذين ضمهم الوفد إليه؛ وهم: علي الشمسي، وعلوي الجزار، ومراد الشريعي، ومرقص حنا، وعبد القادر الجمال، إذ رأى المنشقون أن ضم هؤلاء الجدد يُقصَد منه تغليب جانب الأعضاء الذين بقوا مع سعد عندما وقع الانقسام الأول، وأن الباعث على ضمهم هو الارتياب والشك في إخلاص المنفصلين، (الرافعي في أعقاب الثورة المصرية، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٧، ١: ٤٩). على حين أرجع البعض أن سبب خروجهم على الوفد مبعثه رغبة صفية زغلول في أن يُعرَض عليها كل قرار يُصدره الوفد لتقره قبل إعلانه، مما دفعهم للانسحاب واستنكارهم لذلك لكونها امرأة، فضلًا عن عدم خبرتها بالسياسة. (محمد علي علوبة: مرجع سبق ذكره، ١٩٩).

«دم دم» ، الذي يُحرِّم الإنجليز استعماله داخل جيوشهم[١] ، وأوضح الباسل في حديثه مع اللنبي أن الشِّدَّة والعنف واستخدام السلاح أمورٌ لن تُخمِد الحركة الوطنية التي تتطلع إلى العدل والمساواة والإنصاف ، مما دفع اللنبي إلى إنهاء المقابلة[٢] .

ولم يمر على اعتقال حمد الباسل أسبوع واحد حتى قامت السلطات العسكرية بإطلاق سراحه ، وربما جاء هذا الإفراج لعدم إثارة الرأي العام ، لا سيما أنه حدث في أعقاب نفي سعد زغلول .

من الواضح أن اعتقال الإنجليز حمد الباسل لم يُثْنِهِ عن مواصلة نضاله مع بقية أعضاء الوفد بعد نفي سعد زغلول ، حيث أشهروا سلاح المقاومة السلبية في وجه الإنجليز ، وذلك بتوقيعهم في ٢٣ من يناير ١٩٢٢ على بيانٍ يُعلِنون فيه مقاطعة التجارة الإنجليزية والبنوك والسفن والشركات ، وتشجيع المصنوعات الوطنية ، وتفضيل التعامل مع التجار المصريين ، وأن يسحب المصريون ودائعهم من المصارف الإنجليزية وإيداعها في بنك مصر ، كما أعلنوا مبدأ عدم التعاون مع الإنجليز ، ويشمل ذلك قطع العلاقات الاجتماعية معهم ، وعدم التعاون السياسي ، فيمتنع الساسة المصريون عن تشكيل الوزارة ، وأن يمتنع الموظفون المصريون عن طاعة رؤسائهم الإنجليز[٣] .

ولم يمضِ على توقيع هذا البيان سوى ثلاثة أيام حتى ألقت السلطات الإنجليزية القبض على حمد الباسل ، الذي تصدر اسمُه أسماءَ الموقعين على البيان ؛ وهم : مرقص حنا ، وويصا واصف ، وعلي ماهر ، وواصف بطرس غالي ، ومراد الشريعي ،

---

(١) الدنيا المصورة ، العدد ١٤٣ في ٢٢ من أبريل ١٩٣١.

(٢) المرجع نفسه ، العدد نفسه .

(٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٨١ـ١٩٣٦، القاهرة ـ مكتبة مدبولي د.ت ، ٣٥٦.

وعلوي الجزار ، وچورچ خياط ، وتم اعتقالهم جميعًا في ثكنات قصر النيل لمدة أربعة أيام ، قبل إجراء التحقيق معهم أمام مجلس عسكري ، حيث وُجِّهَتْ إليهم بعض التهم ، منها : التسبب في حدوث الاضطرابات وحوادث الاغتيالات ضد الإنجليز ، ومقاطعة البضائع البريطانية ، وتخريب الاقتصاد[١] .

وقد عُرض على حمد الباسل وزملائه أن يَطلبوا بعض المحامين الإنجليز للدفاع عنهم من لندن ، لكن حمد الباسل رفض ذلك بشدة ، ووقف في قفص الاتهام يقول للمحكمة : «باسم الوفد المصري ، إننا ونحن الوكلاء عن الشعب المصري مكلفون بالمطالبة باستقلاله ، لا نستطيع أن نعترف بأي حال من الأحوال بقضاء محكمة أجنبية ...» ، ثم أردف قائلًا : « ... لكم أن تحكموا علينا ، ولكن ليس لكم أن تحاكمونا»[٢] .

لم يلبث المجلس العسكري أن أصدر حكمه بالإعدام على حمد الباسل وزملائه ، لكن المندوب السامي أمر بتخفيفه إلى سبع سنوات مع الأشغال الشاقة والإبقاء على الغرامة المالية[٣] .

وتم ترحيل جميع المحكوم عليهم من ثكنات قصر النيل إلى سجن المنشية بالإسكندرية ، فظلوا فيه لمدة خمسة أشهر ، ثم نُقلوا إلى سجن ألماظة الذي كان أخفَّ وطأةً وأفضل من سجن المنشية ، ويعرض حمد الباسل تفاصيل حياته داخل سجن المنشية ، وذكرياته في شهر رمضان خاصة داخل سجن ألماظة ، الذي لقِيَ فيه معاملة أفضل بكثير عما كان يلاقيه داخل سجن المنشية[٤] .

---

(١) الدنيا المصورة ، العدد ١٤٣ في ٢٢ من أبريل ١٩٣١.

(٢) لمعي المطيعي : مرجع سبق ذكره ، ١٠١.

(٣) الدنيا المصورة ، العدد ١٤٤ في ٢٩ من أبريل ١٩٣١.

(٤) المرجع نفسه ، العدد ١٤٥ في ٦ من مايو ١٩٣١.

وأمام تزايد المد الشعبي ، رأت السلطات الإنجليزية أنه من الحِكمة الإفراج عن سعد زغلول ، وتم ذلك في ٢٧ من مارس ١٩٢٣، كما تم إطلاق سراح المعتقلين في مصر من أعضاء الوفد المصري[١] ، وتبع ذلك الإفراج عن حمد الباسل ومن معه من المعتقلين في سجن ألماظة في ١٤ من مايو ١٩٢٣، أي بعد ما يقرب من مرور شهرين من الإفراج عن سعد زغلول[٢] .

وقد واكب الإفراج عن حمد الباسل ورفاقه الكثير من المتغيرات السياسية ، منها عودة سعد زغلول من المنفى ، وصدور أول دستور للبلاد وهو دستور ١٩٢٣، والدعوة لإجراء أول انتخابات برلمانية في ظل الدستور الجديد ، وقرر الوفد تنظيم صفوفه لخوْضِ هذه الانتخابات رغم بعض تحفظاته على دستور ١٩٢٣، وفي ظل هذه الظروف أصدر الوفد قرارًا في ٢٩ من يوليو ١٩٢٣ باعتبار أن القسم العامل من الوفد مؤلَّفًا من ثلاثة عشر عضوًا ، كان على رأسهم حمد الباسل[٣] .

أسفرت انتخابات ١٩٢٤ عن فوز حزب الوفد بأغلبية ساحقة ، حيث حصل مرشحوه على غالبية مقاعد مجلسَي النواب والشيوخ ، ونظرًا لهذه التطورات أصبح الأمر يستدعِي المزيد من التنظيم بين صفوف حزب الوفد ، لذا دعا حمد الباسل ـ الذي أصبح وكيلًا لحزب الوفد ووكيلًا لمجلس النواب ـ الأعضاء الوفديين من النواب والشيوخ للاجتماع في منزله في ٢٦ من أبريل ١٩٢٤، وذلك لتبادل الآراء حول وضع نظام ثابت للهيئة الوفدية ، وحضر الاجتماع سعد زغلول ، وألقى حمد خطابًا أشار فيه إلى مسئولية الوفد في ميدان الجهاد وضرورة تكاتفه ، ثم قال : «وتوصلًا لهذا الغرض يجب أن نضع لأنفسنا نظامًا نسير عليه ، إننا كلنا

---

(١) محمد فريد حشيش : حزب الوفد ١٩٣٦ـ١٩٥٢، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩، ١: ٦٢.

(٢) عبد الرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية ، ١: ١٥٤.

(٣) محمد فريد حشيش : مرجع سبق ذكره ، ٦٣.

على مبدأ واحد ونسعى لغاية واحدة ، ولا ينقصنا إلا شيء واحد وهو النظام»[١] .

ويفسر البعض مسألة اختيار حمد الباسل ليكون وكيلًا لحزب الوفد باعتبار أنه أكبر أعضاء الهيئة الوفدية سنًا[٢] ، وربما تكون هناك اعتبارات أخرى ؛ يأتي على رأسها أنه عَقَدَ أول اجتماع للوفد بمنزله في يناير ١٩١٩ كما سبقت الإشارة ، بعد قرار السلطات العسكرية البريطانية منْع هذا الاجتماع في منزل سعد زغلول ، وقد تكرر هذا الأمر في عدد من المناسبات الخاصة بالوفد ، حيث كان مقر الاجتماع الدائم في منزل حمد الباسل ، ولا ننسى كذلك دوره في الحركة الوطنية ونفْيه مع سعد زغلول إلى مالطة ، وتعرُّضه للاعتقال أكثر من مرة ، وفوق ذلك ثقة سعد زغلول في شخصه ، واحترام الجميع وتقديرهم له .

وكان أول عمل قام به حمد الباسل ـ بصفته وكيلًا للوفد ـ التوقيع على ذلك النداء الذي أصدره الوفد في ٥ من فبراير ١٩٢٤، وذلك لحثِّ أفراد الأمة على الكف عن القيام بمظاهر الاحتفال والتهنئة ابتهاجًا بتولي الوفد الوزارةَ ، وضرورة اتجاه كل فرد إلى عمله وكل طائفة إلى اختصاصها[٣] .

واستمر حمد الباسل وكيلًا للوفد حتى عام ١٩٣٢ عندما حدث ما سُمِّيَ بالانشقاق الثاني للوفد ؛ حيث اختلف حمد الباسل وسبعة من زملائه الوفديين مع مصطفى النحاس حول موضوع الوزارة القومية ، حيث برزت فكرة تأليف وزارة قومية تضم الوفديين والأحرار الدستوريين ، وقد اعتنق الدستوريون هذه الفكرة لأنهم استبطأوا عودتهم إلى الحكم بعد أن ظل إسماعيل صدقي في الحكم لمدة

---

(١) محمد فريد حشيش : مرجع سبق ذكره ، ١٨١.

(٢) عبد الله عزباوي : حزب الوفد منذ إنشائه حتى معاهدة ١٩٣٦، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧١، ١٠٥.

(٣) المرجع نفسه ، ١٠٥.

سنتين تقريبًا ، ومن ثَمَّ أخذوا يروِّجُون لفكرة الوزارة القومية ، واجتذبوا ثمانية من أعضاء الوفد ، لكن هذه الفكرة لم تَلْقَ تأييدًا من النحاس وأحمد ماهر ومكرم عبيد ، مما أدى إلى نشوب الخلاف بين أعضاء الوفد ، وتطوَّرَ إلى انقسام بدت بوادره باستقالة نجيب الغرابلي من الوفد في أغسطس ١٩٣٢، ورغم أنه سحب استقالته فإن النحاس قَبِلَها وطلب منه إنهاء عضويته في الوفد[١] .

وأيَّد النحاس في موقفه هذا كلٌّ من : أحمد ماهر ، والنقراشي ، ومكرم عبيد ، وحسن حسيب ، وسينوت حنا ، في حين طالب الأعضاء الثمانية الباقون بزعامة حمد الباسل ألَّا يتم أي إجراء ضد الغرابلي حتى يعود علي الشمسي وواصف غالي من أوربا ، لكن النحاس قرر بعد استشارة صفية زغلول طرْد الغرابلي من الوفد ، كما قرَّر النحاس بالنظر إلى تأييد الأعضاء الثمانية للغرابلي ألا يُعَد أيٌّ منهم عضوًا بالوفد[٢] .

وانتهت هذه الأزمة بخروج حمد الباسل ومَن معه من قيادات الوفد ، إذ رأَى الثمانية المنشقون ـ وعلى رأسهم حمد الباسل ـ أنهم بحكم أكثريتهم هم الممثِّلون الحقيقيون للوفد ، وجاء ذلك على لسان الباسل ردًا على البيان الذي أصدره النحاس في ٤ من نوفمبر ١٩٣٢، واصفًا فيه هؤلاء الثمانية بالمنشقين ، وأكَّد الباسل في كلمته أن النحاس أباح لنفسه الاعتداء على قانون الوفد والنظام الذي وضعه سعد ، وأبدى أسفه أن ينحدر الوفد إلى هذا المستوى[٣] .

واستمر التراشُق بالكلمات بين الطرفين لعدة شهور ، ففي الخطبة التي ألقاها النحاس على قبر سعد ، بمناسبة إعادة تشكيل هيئة الوفد ، وَصَفَ حمد الباسل

---

(١) محمد فريد حشيش : مرجع سبق ذكره ، ٢٦٠.

(٢) ماريوس كامل ديب : الوفد وخصومه السياسيين ١٩١٩ـ ١٩٣٩، لبنان ـ ١٩٨٧، ١٧٠.

(٣) الأهرام ، العدد ٤٣٩٨٤ في ١٠ من مايو ٢٠٠٧.

ومَن معه بأنهم خرجوا على إرادة الأمة ومبادئ الوفد[١] .

وردَّ حمد الباسل على ذلك ببيانٍ أدان فيه النحاس الذي وقف على قبر سعد يسُب الرجال الذين تصافوا معه حيًا ، الذين يقدِّسون مبادئه ميتًا ، وأكد أنه وزملاءه لا يشغلهم سوى إنقاذ مصر مما تعاني من المظالم ، معتمدين على الله وعلى مبادئهم الوفدية[٢] .

ولتأكيد وفديتهم انقلب حمد الباسل ومَن معه ضد إسماعيل صدقي ، بعد فشل مشروع الوزارة القومية ، وتحالف مع الأحرار الدستوريين في الهجوم على سياسة صدقي ، بشكل لا يقل عن هجوم النحاس لصدقي ، وكانت الفرصة سانحة في ذلك الوقت لعودة التئام الصفوف في الوفد ، وهو ما لم يتحقق خاصةً بعد أن أعاد النحاس تشكيل هيئة الوفد من رجاله المقرَّبين ، واستمر يهاجم حمد الباسل ورجاله ويصفهم بالمنشقين[٣] .

ففي مقال بصحيفة الأهرام بتاريخ ٤ من يوليو ١٩٣٣ أشارت الصحيفة إلى الخطبة التي ألقاها النحاس في مدينة الإسكندرية ، التي وصف فيها حمد الباسل ومَن معه بأنهم ضِعاف الإيمان ، وأنه أدخل بدلًا منهم أعضاء أمناء[٤] .

ورد الباسل بتصريح أعرب فيه عن أسفه لما ورد في بيان النحاس ، حيث قال : «وكنا نظن أن الحوادث قد وعظت النحاس باشا ، وأنه وقد مضى نحو عام على الحركة التي أحدثها في الوفد بانتهاك قانونه وازدراء الشورى وعدم الاكتراث بالعواقب ، يشعر بشيء من الندم على ما فعل ويُدرِك خطورة الحالة التي وقعت البلاد فيها»[٥] .

---

(١) نفسه ، العدد ١٧٤٤٦ في ٤ من يوليو ١٩٣٣.

(٢) نفسه ، العدد ٣٩٨٤ في ١٠ من مايو ٢٠٠٧.

(٣) نفسه .

(٤) نفسه ، العدد ١٧٤٤٦ في من ٤ من يوليو ١٩٣٣.

(٥) نفسه .

على أيَّة حال فإن الباسل وزملاءه استمروا في معارضتهم سياسةَ النحاس، وقاموا بتأليف حزب جديد يقوم على مبادئ الوفد، وأطلقوا عليه اسم «الوفد السعدي»، وتم تشكيل العديد من اللجان التابعة للحزب، وألقى حمد الباسل أول خطبة على أعضاء الحزب في ١٨ من يوليو ١٩٣٣، ثم سافر بعدها إلى أوربا في رحلة ترفيهية لمدة شهر، وعند عودته استقبله رؤساء لجان الوفد السعدي العامة في الإسكندرية، ثم اجتمع بهم بعد ذلك في مقر نادي الوفد السعدي، وفي ١٤ من نوفمبر من العام نفسه ألقى الباسل في مقر النادي خطبة بمناسبة عيد الجهاد الوطني. ولم يَظهَر بعد ذلك نشاط واضح لهذا الحزب بعد أن تغيرت الظروف السياسية بعد سقوط وزارة إسماعيل صدقي الثانية (٤ من يناير ـ ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٣)، وتولَّى عبد الفتاح يحيى رئاسة الوزارة خلفًا له، وبعد ذلك تشكيل وزارة محمد توفيق نسيم الثالثة (١٤ من نوفمبر ١٩٣٤ ـ ٣٠ من يناير ١٩٣٦) التي تم في عهدها عودة دستور ١٩٢٣[1].

نتيجة لتلك التطورات رأى حمد الباسل أن يبتعد عن مشاكل الصراعات الحزبية، ويركز كل جهوده في خدمة القضايا الوطنية من خلال عضويته في البرلمان، وممارسة دوره بوصْفِهِ شيخًا للعرب في الصلح بين القبائل العربية، وتوكيد أواصر العلاقات بين مصر والدول العربية، وربما شجعه على المُضِيِّ قدمًا في هذا أنَّ العلاقات أخذت في التحسُّن مع مصطفى النحاس، الذي كان من جانبه حريصًا على ائتلاف الأحزاب السياسية.

حمد الباسل والمشاركة الانتخابية

الجانب الآخر من إسهامات حمد الباسل في السياسة المصرية يتمثَّل من خلال

---

[1] نفسه، العدد ٤٣٩٨٤ في ١٠ من مايو ٢٠٠٧. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ـ١٩٥٣، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩، ٣٦٥ـ٣٧٥.

عضويته في المجالس النيابية، التي بدأها بانتخابه عضوًا في الجمعية التشريعية في ٢٦ من أكتوبر ١٩١٣، حيث تم تقسيم مديرية الفيوم إلى ثلاث دوائر انتخابية، هي: الفيوم وإطسا وسنورس، وفاز الباسل عن الدائرة الأولى «الفيوم»[١].

ولا شك في أن انتخاب حمد الباسل عضوًا في الجمعية التشريعية قد أسهم بشكل فعَّال في تكوينه السياسي، وذلك من خلال عرضه للكثير من القضايا كالزراعة والتعليم، فضلًا عن احتكاكه المباشر بأعضاء الجمعية التي كانت تضم نخبة من رموز السياسة في مصر آنذاك.

وتُعَدُّ انتخابات ١٩٢٤ أول انتخابات في تاريخ مصر تُجرَى على أساس حزبي، حيث خاضتها الأحزاب الثلاثة التي كانت معروفة وقتئذ (الوفد ـ الأحرار الدستوريون ـ الوطني)، وهي القوة التي صنعت المعركة الانتخابية[٢].

وقد رَشح حمد الباسل نفسه عن حزب الوفد في الدائرة التاسعة بالفيوم، ومقرها الغرق السلطاني، على حين رشح شقيقه عبد الستار الباسل نفسه في الدائرة السابعة ومقرها إطسا، حيث كان آل الباسل يمثلون الركيزة الأساسية لحزب الوفد بالفيوم.

وقد فاز حمد الباسل في الانتخابات الثلاثينية التي جرت في ٢٧ من سبتمبر ١٩٢٣، حيث حصل على ٣٩٥ صوتًا من أصل ٣٤٠ صوتًا هم عدد أصوات المندوبين الثلاثينيين الذين حضروا عملية الانتخاب، وذلك بنسبة ٩٢٪، وحصل منافسه المستقل على ٣٥ صوتًا فقط، وذلك بنسبة ٨٪، أمَّا عبد الستار الباسل فقد حصل على ٢٢٩ صوتًا من إجمالي ٣٤٧ صوتًا هم عدد المندوبين الثلاثينيين

---

(١) الفيوم، العدد ٤٨٨ في ١٧ من مايو ١٩٤٠.

(٢) يونان لبيب رزق: قصة البرلمان المصري، القاهرة ـ دار الهلال ١٩٩١، العدد ٤٨٣، مارس ١٩٩١، ٩٠.

الذين حضروا عمليه الانتخاب ، وذلك بنسبة ٦٦٪ ، بينما حصل منافسوه الثلاثة على ١١٨ صوتًا بنسبة ٣٤٪[١] .

وكانت نتائج الانتخابات الثلاثينية مؤشرًا قويًا له دلالته على نتائج انتخابات النواب ، التي جرت في ١٢ من يناير ١٩٢٤، حيث فاز حمد الباسل بحصوله على ٣٨٢ صوتًا ، وحصل عبد الستار الباسل على ٢٥١ صوتًا[٢] .

كما فاز حمد الباسل أيضًا في انتخابات مجلس الشيوخ عن دائرة الفيوم التي جرت في ٢٣ من فبراير ١٩٢٣، ونتيجةً لعدم جواز الجمع بين عضوية مجلسي النواب والشيوخ ، قدَّم حمد الباسل استقالته من عضوية مجلس الشيوخ واحتفظ بمقعده في مجلس النواب[٣] .

ومما يدل على هَيْمَنة الوفد من جهة ، ومكانة حمد الباسل من جهة أخرى ، أن تنازله عن عضوية مجلس الشيوخ في دائرة الفيوم قد أفسح الطريق أمام الوفد ليرشح أحد رجاله بهذه الدائرة ، وهو شيخ العرب ياسين أبو جليل ابن عم حمد الباسل ، وأقامت لجنة الوفد بالفيوم حفلًا انتخابيًا كبيرًا بسراي الباسل بالفيوم ، حضره حمد الباسل والكثير من أعضاء الهيئة الوفدية[٤] ، وتقدم للترشيح ضد مرشح الوفد ، سلطان بهنس مرشح حزب الأحرار الدستوريين ، وأسفرت نتيجة الانتخابات التي جرت في ٧ من يونيو ١٩٢٤ عن فوز المرشح الوفدي[٥] .

---

(١) محافظ عابدين ، محفظة رقم (٥٨١) انتخابات ، المحروسة ، العدد ١١ـ ٤، في ٦ من نوفمبر ١٩٢٣، ٣.

(٢) الأخبار ، العدد ١١٨٩، في ١٣ من يناير ١٩٢٤، ٢.

(٣) مجلس الشيوخ ، الانعقاد الأول ، مضبطة الجلسة الثامنة في ٧ من أبريل ١٩٢٤، ٥٨.

(٤) قارون ، العدد ٨ في ٢٣ من مايو ١٩٢٤.

(٥) المرجع نفسه ، العدد ١١، في ١٣ من يونيو ١٩٢٤.

من هنا نلاحظ أن حزب الوفد اعتمد اعتمادًا كبيرًا على عصبية حمد الباسل وشعبيته في الدعاية للمرشحين الوفديين، الذين فازوا بثمانية مقاعد في مجلس النواب عن مديرية الفيوم من أصل تسع دوائر، وذلك بنسبة ٨٨,٨٪، وحصل آل الباسل على دائرتين من الدوائر الثمانية الخاصة بالوفديين بنسبة ٢٥٪.

أما بالنسبة لانتخابات ١٩٢٥ فقد جاءت في ظروف سياسية مختلفة، في أعقاب مقتل السير لي ستاك حاكم السودان وقائد الجيش المصري، وما ترتب على ذلك من تقديم سعد زغلول استقالته في ٢٣ من نوفمبر ١٩٢٤[١].

وقد أدركت حكومة زيور أن إجراء انتخابات جديدة بالمندوبين الثلاثينيين أنفسهم، الذين أيَّدوا الوفد في انتخابات ١٩٢٤، سيؤدِّي حتمًا إلى نجاح مرشحي الوفد، ومن هنا قررت إجراء انتخابات جديدة للمندوبين لضمان السيطرة عليهم، ومن أجل مساعدة مرشحي الحكومة في الفوز بالانتخابات[٢].

كما لجأت الحكومة إلى إعادة تقسيم الدوائر الانتخابية طبقًا لرغبة مرشحي الحكومة، حيث تم تحويل الدائرة التاسعة «الغرق السلطاني» مقر آل الباسل إلى أبو جندير مقر أحمد والي الجندي مرشح حزب الاتحاد، إلى جانب التلاعب في كشوف الانتخابات، فضلًا عن الضغوط التي مارسها رجال الإدارة لنجاح مرشحي الحكومة[٣].

وعلى الرغم من كل هذه الضغوط والتجاوزات التي لجأت إليها الحكومة، فإن

---

(١) AFAF LUTFI EL-SAYYID, *A Short History of Modern Egypt,* Cambridge University press, 1985, p.84.

(٢) LIOYD. L., *Egypt since Cromer,* vol, II, London, 1934. p.111.

(٣) نبيل رياض: نواب الفيوم في البرلمان ١٩٢٤-١٩٥٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٢، ٥٤.

حمد الباسل فاز في هذه الانتخابات عن دائرة أبو جندير[١] .

بالنسبة لانتخابات ١٩٢٦ فقد شهدت حدثًا مختلفًا ؛ حيث بدأت بائتلاف الأحزاب لإسقاط وزارة زيور بسحب الثقة منها ومقاطعة الانتخابات ، وقدَّم عدد كبير من العُمَد استقالتهم ، كان من بينهم محمد بن حمد الباسل عمدة قصر الباسل ، ومحمد مقاوي الباسل عمدة السعدة ، وأبو هشيمة الباسل ومحمد سالم الباسل من الشيوخ في قصر الباسل[٢] .

ولم يكن أمام حكومة زيور بعد قيام عدد كبير من العمد والمشايخ بتقديم استقالاتهم ، وبعد تهديد الأحزاب بمقاطعة الانتخابات ، إلا العودة إلى قانون الانتخاب المباشر ، وفي هذه الانتخابات فاز من آل الباسل كلٌّ من : حمد الباسل عن دائرة أبو جندير ، وعبد الستار الباسل عن دائرة قصر الجبالي . وجدير بالذكر أن سراي حمد الباسل بالفيوم كانت مقر الاجتماعات الانتخابية لمرشحي الوفد بالمديرية[٣] .

وفيما يتعلق بانتخابات ١٩٢٩ فقد فاز حمد الباسل بعضوية مجلس النواب عن دائرة تطون بالتزكية ، وذلك في نوفمبر ١٩٢٩، ثم قام بعد ذلك بترشيح نفسه لعضوية الشيوخ عن دائرة الفيوم ، بعد وفاة ابن عمه الشيخ يسن أبو جليل ، وتم تحديد الانتخابات في ٨ من مارس ١٩٣٠، وفاز حمد الباسل بالتزكية[٤] .

وما لبث حمد الباسل أن قدَّم استقالته من عضوية مجلس النواب عن دائرة

---

(١) المقطم ، العدد ١٠٨٩٤ في أول يناير ١٩٢٥.

(٢) محافظ عابدين ، محفظة رقم (٢) تقارير أمن ، تقرير عن الحالة العامة بمديرية الفيوم بتاريخ ٣١/ ١٢/ ١٩٢٥.

(٣) نبيل رياض : مرجع سبق ذكره ، ٦٨.

(٤) المرجع نفسه ، ٨٢.

تطون ، ولم يتقدم بالترشيح للانتخاب في هذه الدائرة سوى محمد بن حمد الباسل ، بالتالي فقد أصبح عضوًا بالتزكية[١] .

أما بالنسبة لانتخابات ١٩٣١ فلم يشارك فيها حمد الباسل ؛ نظرًا لاتفاق حزب الوفد والأحرار الدستوريين على مقاطعة انتخابات صدقي ، حيث أصدر الوفد والأحرار قرارًا في ٦ من نوفمبر ١٩٣٠ بعدم الاعتراف بالدستور وقانون الانتخاب الجديدَيْنِ ، ومقاطعة الانتخابات العامة بجميع عملياتها[٢] .

أمَّا انتخابات ١٩٣٦ فتعكس مدى المكانة السياسية والاجتماعية التي كان لا يزال يتمتع بها حمد الباسل ، فعلى الصعيد السياسي قرر الوفد ترشيح أعضائه في جميع الدوائر الانتخابية بالفيوم ، عدا دائرة تطون التي قرر الوفد تركها لحمد الباسل ، تطبيقًا لقرار الحزب بعدم معارضة مرشحي حزب الوفد السعدي في الدوائر التي يرشحون أنفسهم فيها ، من أجل إعادتهم مرة أخرى إلى صفوف الوفد[٣] .

أمَّا على الصعيد الاجتماعي فقد اجتمع عدد كبير من أعيان العرب بدائرة تطون ، واستنكروا مزاحمة المرشح المستقل شيخ العرب سيف النصر موسى لحمد الباسل ، وطالبوه بالعُدُول عن ترشيحه حرصًا على وحدة العرب ، وقد حقَّق حمد الباسل في هذه المعركة الانتخابية فوزًا كبيرًا ، حيث حصل على ٦٦٣٢ صوتًا مقابل ٣٥٧٥ صوتًا لمنافسه[٤] .

وفيما يتعلق بانتخابات ١٩٣٨ فقد دفع الوفد في دائرة تطون بالمرشح الوفدي رياض محمود زيدان ، ولم يترك الدائرة لحمد الباسل كما حدث في انتخابات

---

(١) قارون ، العدد ٢٨٦ في ٩ من مارس ١٩٣٠.

(٢) المساء ، العدد ٥٢ في ٧ من نوفمبر ١٩٣٠.

(٣) المقطم ، العدد ١٤٤١١ في ٢٤ من مارس ١٩٣٦.

(٤) نبيل رياض : مرجع سبق ذكره ، ١١٢.

١٩٣٦، الأمر الذي دفع حمد الباسل إلى خَوْض هذه الانتخابات بصفته المستقلة، وقد أثبتت الأحداث أن شعبية حمد الباسل كانت لا تزال طاغية في الفيوم، سواء تم ترشيحه من قبل الوفد أو ترشح بصفة المستقل، حيث فاز في انتخابات ٢١ من فبراير ١٩٣٨ فوزًا ساحقًا بعد حصوله على ٧٦٠٥ أصوات مقابل ٢٥٤٥ صوتًا لمنافسه الوفدي[١].

وقد ظل حمد الباسل يمارس دوره في البرلمان حتى وفاته في ٩ من فبراير ١٩٤٠، وشغل ابنه محمد الباسل مقعده عن دائرة تطون بعد فوزه بالتزكية[٢].

دور حمد الباسل داخل البرلمان وخارجه

حرص حمد الباسل، صاحب الدور المعروف في الحركة الوطنية، في كل مراحل حياته النيابية سواء في مجلس النواب أو مجلس الشيوخ، على المشاركة في عضوية لجنة الخارجية، نظرًا لاهتمامه بالقضايا السياسية، باعتباره رجل سياسة في المقام الأول.

لكنَّ ذلك لا ينفي عنه اهتمامه بالكثير من القضايا ذات الصلة بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية، سواء من خلال مناقشاته الكثيرة داخل مجلس النواب والشيوخ، أو من خلال الكثير من حفلات الشاي التي كان يقيمها بمنزله، التي كانت تكْلفة الواحدة منها تزيد عن مائتي جنيه[٣]، ولا غرابة في ذلك، فقد اشتُهِرَ حمد الباسل في كل الأوساط بأنه رجل شديد الكرم. ويمكن تصنيف دوره في المناقشات البرلمانية كما يلي:

---

(١) بحر يوسف، العدد ٣٨٠ في ٧ من أبريل ١٩٣٨.

(٢) قارون، العدد ٧٢٢ في ٣٠ من مارس ١٩٤٠.

(٣) الفتاة، العدد ٢١ في ٢١ من مارس ١٩٣٨، مذكرات حسين رشدي (سكرتير حمد الباسل)، بعنوان حمد الباسل يعطيني درسًا في الكرم.

أولاً : القضايا السياسية

يُعَدُّ عام ١٩٢٤ التاريخَ الذي حاولَتْ فيه بريطانيا إنهاء الوجود المصري في السودان إداريًا وعسكريًا ، وكان من مظاهر تجاهل حقوق مصر في السودان اشتراك السودان مباشرةً في مؤتمر ويمبلي بشمال لندن ، دون الحصول على إذن من الحكومة المصرية ، كما بدأت بريطانيا تُقِيل أعدادًا كبيرة من الموظفين المصريين بالسودان ، وفي الوقت نفسه استكتب الإنجليز بعض السودانيين عرائض يطلبون فيها بقاء الإنجليز في السودان وموافقتهم على قَطْع صلتهم بمصر ، الأمر الذي دفع أعضاء البرلمان إلى مناقشة سياسة بريطانيا في السودان واستنكارها[١] .

وقد اشترك حمد الباسل في الاحتجاج على نهج السياسة البريطانية ، حيث أشار في كلمته التي ألقاها أمام مجلس النواب إلى أن «السياسة البريطانية ليست بجديدة علينا ، لأن ما يفعلونه في السودان كان يتم في مصر ، حيث كانوا يستدرجون بعض المصريين ليعملوا ضد الحركة الوطنية ولكنهم فشلوا في ذلك ، ويجب أن يعلم العالم أن مصر والسودان كتلة واحدة من جميع الوجوه السياسية»[٢] ، وأعلن حمد الباسل تأييده موقف المجلس في استنكار هذه التصرفات .

ولم تتوقف الاحتجاجات ضد بريطانيا على البرلمان فقط ؛ بل كان لهذه الأحداث صداها في أنحاء مصر ، ففي الفيوم خرجت مظاهرة كبيرة تضم المصريين والسودانيين وطافت شوارع المدينة ، ثم توجهت إلى دار حمد الباسل ،

---

[١] يواقيم رزق مرقص : السودان في البرلمان المصري ١٩٢٤ـ ١٩٣٦، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩، ١: ٣٧ـ ٤٠.

[٢] مجلس النواب ، الهيئة النيابية الأولى ، الانعقاد الأول ، الجلسة ٥٤ في ٢٣ من يونيو ١٩٢٤، ٦٦٠.

وردد المتظاهرون الهتافات بوحدة مصر والسودان، كما تكوَّنت لجنة من طلبة الفيوم للدفاع عن السودان[١].

مع تداعيات الظروف السياسية على الساحة الدولية في أواخر عام ١٩٣٥، التي عُرِفت باسم الأزمة الحبشية الإيطالية، وازدياد مظاهرات الطلبة في مصر، وتحذير المندوب السامي لامبسون وزير خارجيته إيدن من أن اشتراك العمال والفلاحين في تلك المظاهرات قد يؤدي إلى تفجير الثورة في البلاد على غرار ما حدث في ثورة ١٩١٩[٢]، أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها للتفاوض مع الحكومة المصرية من أجل توقيع معاهدة بين الطرفين، على أن تُسْبَق المفاوضات بمناقشات تمهيدية في المسائل العسكرية ومسألة السودان، ودون التقيُّد بأن يكون مشروع ١٩٣٠ أساسًا للمفاوضات[٣]. وبدأت المفاوضات بين الجانبين في القاهرة يوم ٢ من مارس ١٩٣٦، وانتهت بتوقيع معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا في مقر وزارة الخارجية البريطانية في لندن في ٢٦ من أغسطس ١٩٣٦[٤].

وقد أشار حمد الباسل في حديثه لمجلة المصور إلى أن «معاهدة ١٩٣٦ سيحتدم حولها النقاش كثيرًا في المستقبل، وأن هذه المعاهدة خيرٌ من أي اتفاقية وُقِّعت قبل ذلك، وأن المعاهدة إن لم تكن استقلالًا تامًا بكل معانيه، فهي أقرب إلى الاستقلال»[٥].

---

(١) قارون، العدد ١٤ في ٤ من يونيو ١٩٢٤.

(٢) F.O. 407/219 No.30 *Lampson to Eden.* Jan. 9. 1936.

(٣) محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسية المصرية، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٩٠، ١: ٣٢٣.

(٤) مجلس النواب، دور الانعقاد غير العادي لنظر معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا، الجلسة الثانية في ١١ من نوفمبر ١٩٣٦، ٣٠.

(٥) المصور، العدد ٦٢١ في ٤ من سبتمبر ١٩٣٦، ٤.

وقررت الوزارة عرض المعاهدة على البرلمان في اجتماع غير عادي، يُدْعَى إليه من مجلسَي النواب والشيوخ، وذلك في أكتوبر ١٩٣٦، نظرًا لأن إيدن وزير خارجية بريطانيا أبدى رغبته إلى النحاس في أثناء وجوده في لندن بأن تُعْرَض المعاهدة على البرلمان المصري قبل عرضها على مجلسَي العموم واللوردات، وذلك لتسهيل مهمة الحكومة البريطانية في الحصول على موافقة هذين المجلسين، وحتى لا تكون هناك شكوك من جانب أعضاء البرلمان البريطاني بوجود معارضة قوية لمعاهدة ١٩٣٦ من جانب البرلمان المصري[١].

وقد استقر الرأي على أن تكون لجنة الشئون الخارجية هي المختصة ببحث المعاهدة، حيث كانت اللجنة تضم في عضويتها ١٥ عضوًا من بينهم حمد الباسل، وكانت رئاسة اللجنة لحافظ عفيفي أحد أعضاء الهيئة الرسمية للمفاوضات[٢].

وقد دارت مناقشات طويلة في مجلس النواب حول المعاهدة ما بين مؤيِّد ومعارِض، وأشار حمد الباسل في كلمته التي ألقاها أمام المجلس عن المعاهدة إلى أن «نقطة الخلاف بين أفراد الأمة تنحصر في كيفية الوصول إلى الحرية والاستقلال، ففريق منهم يحرم المفاوضة مع الإنجليز إلا بعد جلائهم عن البلاد، ولكن هذا الكلام النظري لم تقبله الأمة، وأن آراء جبهة المفاوضات اتفقت على أن تكون المفاوضات مع الإنجليز على أساس مشروع ١٩٣٠، وقد جاء في المعاهدة توسع في النقطة العسكرية، ولكن هذا التوسع كان نتيجة طبيعية لحالة طارئة استدعت ذلك، وأن المعاهدة شملت مزايا أفضل مما شمله مشروع ١٩٣٠ وخاصةً السودان، كما امتازت المعاهدة بنصوص الامتيازات الأجنبية التي لم

---

(١) نفسه، العدد ٦٢٢ في ١١ من سبتمبر ١٩٣٦، ٧.

(٢) المصري، العدد ٢٢ في أول نوفمبر ١٩٣٦.

تُذكر مطلقًا في المعاهدات الماضية ، وأنها محققة لإلغاء الامتيازات ومنح الحرية للحكومة في وضع التشريع لجميع السكان»[١] . وأعلن حمد الباسل في نهاية كلمته تأييده معاهدة ١٩٣٦.

مِن بين القضايا المهمة التي أدلى فيها حمد الباسل برأيه داخل البرلمان قضية تسليح الجيش المصري ورفع كفاءته القتالية ، ففي عام ١٩٣٨ وجَّه سؤالًا لوزير الحربية حسن صبري ، جاء فيه : «هل إذا بلغ عدد الجيش المصري في المستقبل نحو خمسين ألف عسكري تستطيع خزانة الدولة أن تقوم بالنفقات اللازمة لتدريب الجيش؟ وهل احتاطت الوزارة لإيجاد أسلحة وذخائر وصُنْعها في البلاد حين لا تَجِد من يقدِّم لها من الخارج تلك اللوازم؟ وهل للوزارة سياسة مقبلة عن نمو الجيش وتكبيره تنطبق على مقدرة البلاد المالية واستعداد الأمة ورغبتها في ذلك؟ وهل ينوي وزير الحربية أن يُقدم قانون القرعة العسكرية شاملًا لجميع السكان بدون استثناء ولا قبول للبدل لتعميم روح النشاط والمروءة الحربية في جميع الشبان القادرين على الدفاع؟ وأن يسهل على الطلبة في الجامعات كلها تناول هذه الروح فيتثقفوا ثقافة حربية»[٢] .

تعكس هذه الأسئلة مدى اهتمام حمد الباسل بزيادة عدد أفراد الجيش المصري وتدريبه على الطرق الحديثة ، وضرورة توفير النفقات اللازمة لهذه الزيادة ، وفي الوقت نفسه المطالبة بضرورة اعتماد المصريين على أنفسهم في صنع الأسلحة والذخائر التي يحتاجها الجيش المصري ، حتى لا تقع مصر تحت رحمة السياسة البريطانية ، كما أثار حمد الباسل قضية البدل في القرعة العسكرية وضرورة إلغائه ، وأن يتم الاهتمام بتدريس العلوم العسكرية في الجامعات ، ولا شك في أن هذه

---

[١] مجلس النواب ، الهيئة النيابية السادسة ، دور الانعقاد غير العادي لنظر معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا ، الجلسة الثالثة في ١٢ من نوفمبر ١٩٣٦، ٧٩.

[٢] نفسه ، الهيئة النيابية السابعة ، الانعقاد الأول ، المجلد الأول ، الجلسة ٤٩ في ٢٤ من مايو ١٩٣٨، ١٧١.

الأسئلة التي أثارها حمد الباسل إنما كان يرمِي من ورائها في نهاية الأمر الوصول بالجيش المصري إلى المرحلة التي تمكِّنه من الدفاع عن مصر وعن قناة السويس، بالتالي تسهيل عملية جلاء بريطانيا عن مصر.

وقد جاءت إجابات وزير الحربية متسقة تمامًا مع تساؤلات حمد الباسل؛ حيث أشار في رده إلى أن الوزارة تعمل على زيادة عدد أفراد الجيش بما يتناسب مع عاملَيْنِ أساسيَّيْنِ هما: تخريج ضباط أكفاء، والحصول على اعتمادات مالية تتناسب وموارد الدولة، كما أوضح أن الوزارة تبحث موضوع الأسلحة والذخائر وتحاول الوصول إلى نتيجة يرضى عنها حمد الباسل، كذلك العمل على إلغاء البدل النقدي تمامًا إلى جانب الاهتمام بإدخال التعليم العسكري في المعاهد الثانوية والعالية التابعة لوزارة المعارف[١].

وأبدى حمد الباسل اهتمامًا كبيرًا بالكثير من القضايا العربية، باعتباره عضوًا في لجنة الخارجية، فضلًا عن طبيعته البدوية التي جعلتْه يحرص دائمًا على توحيد الأقطار العربية، وفض ما بينها من مشاحنات، والوقوف إلى جانبها ونُصْرة قضاياها، ويتضح ذلك من خلال موقفه من القضية الليبية والقضية الفلسطينية، إلى جانب محاولاته تدعيم وحدة الصف العربي.

وتمثَّل دعم حمد الباسل للقضية الليبية في وقوفه مع أهالي الفيوم لنُصْرة إخوانهم الليبيين، وتقديم المساعدات لهم عبر الحدود، واستقبال الفارين منهم من بطش الإيطاليين وتقديم المُؤن لهم[٢]، ويرجع ذلك في المقام الأول لوجود صلات قرابة بين عدد من العائلات الليبية وعائلات الفيوم ومن بينها عائلة الباسل[٣].

---

(١) نفسه، ١٧٢.

(٢) قارون، العدد ٣٤ في ٧ من ديسمبر ١٩٢٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع: عبد السلام الحبوني: القبائل العربية في ليبيا، القاهرة ـ دار الكتب المصرية د.ت.

وخيرُ دليلٍ على هذه القرابة أن حمد الباسل وجَّه الدعوة في ١٢ من نوفمبر ١٩٣١ للاحتفال في منزله بالقاهرة بتأبين «عمر المختار»، الذي تجمعه به صلة قرابة، وألقَى الشعراء قصائد بهذه المناسبة وفي مقدمتهم أحمد شوقي وخليل مطران، وقد عرَّضَهُ هذا الموقف للكثير من المضايقات من سلطات الاحتلال التي أحاطت منزله بالقوات العسكرية، وأغلقت الشوارع المؤدية إليه، ووضعت أسلاكًا شائكة لمنْع مرور السيارات، كما وضعت سيارات كبيرة لتعترض الطرقات، ومنْع جميع المدعوين من حضور حفل التأبين، وكان حمد الباسل قد تلقَّى خطابًا في أثناء الاستعداد للحفل من محافظ القاهرة، يتضمن إخطاره بمنع الاحتفال لأنه سياسي، غير أنه لم يهتم بهذا الخطاب واستمر في استعداده لإقامة الحفل[١].

أمَّا بالنسبة للقضية الفلسطينية فقد أثارت عملية تهويد فلسطين ومؤامرات إنجلترا حفيظة حمد الباسل، كغيره من المصريين الذين كانت لهم مواقف إيجابية تجاه ما يجري على أرض فلسطين؛ فعندما قامت ثورة ١٩٣٦ في فلسطين تقدَّم إلى مجلس النواب باقتراح يطلب فيه أن «يبدي المجلس مزيد أسفه للحوادث المحزنة التي تعرضت لها فلسطين، وأن يتوجه بالعطف على الأمة الفلسطينية راجيًا المجلس أن تنتهي هذه الحالة وفقًا لمبادئ العدل والإنصاف، حتى يعم أرض فلسطين الطمأنينة والسلام»، وقد وافق المجلس بالإجماع على اقتراح الباسل[٢].

ومِن الملاحَظِ أن قضية فلسطين لم تحظَ باهتمام الهيئات النيابية قبل معاهدة ١٩٣٦، بالتالي كان لحمد الباسل السبق في إثارة هذه القضية في مجلس النواب.

---

(١) لمعي المطيعي: مرجع سبق ذكره، ١٠٦-١٠٧.

(٢) مجلس النواب، الهيئة النيابية السادسة، الانعقاد الأول، الجلسة ١٢ في ٢٠ من يونيو ١٩٣٦، ٣٥٩.

كما شارك حمد الباسل ضمن الخمسة مندوبين الذين كانوا يُمثِّلون مصر في المؤتمر البرلماني العربي الإسلامي، الذي عُقِد بالقاهرة في أكتوبر ١٩٣٨ لدعم القضية الفلسطينية، بدعوة من محمد علي علوبة، وترأسه محمد بهي الدين بركات، وعاونه مولود مخلص رئيس مجلس النواب العراقي وفارس الخوري رئيس مجلس النواب السوري، وحضرته وفود من الدول العربية والإسلامية[١].

فيما يتعلَّق بالعراق، فقد ترأس حمد الباسل الوفد الذي أرسلته مصر بناءً على طلب الحكومة العراقية، بهدف التحكيم وإقرار الصلح بين قبيلتَيْ (آل عبيد وشمر) العراقيتَيْنِ، بعد أن اشتدت المعارك بينهما بسبب مقتل زعيمَيْنِ، أحدهما من قبيلة شمر والآخَر من قبيلة آل عبيد[٢]، وراح ضحية هذا النزاع الكثير من الضحايا بين الطرفين، وقد بذل حمد الباسل جهدًا كبيرًا لنجاح المؤتمر الذي عُقِد للصلح بين هاتين القبيلتين وإنهاء الخصومة بينهما[٣].

في إطار توطيد العلاقات العربية، وجَّه الباسل دعوةً إلى مثقال باشا الفائز، شيخ مشايخ قبائل بني صخر في شرق الأردنِّ وزعيم المعارضة في المجلس التشريعي، لزيارته في مصر توطيدًا لوشائج القُرْبى، إذ ثبت أنَّ آل باسل وبني صخر أبناء عمومة، وخلال المقابلة التي جرت في قصر الباسل بالفيوم قدَّم مثقال باشا الفائز هدية إلى حمد الباسل؛ هي سيف مُرَصَّعٌ من الذهب تزيد قيمته عن ٤٠٠ جنيه إنجليزي، فضلًا عن اثنَيْنِ من الخيول العربية الأصيلة[٤].

---

(١) زكريا أحمد محمد سعد: المشكلة الفلسطينية وموقف مصر حكومةً وشعبًا ١٩١٧ـ١٩٣٧، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧، ١١٩.

(٢) أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم (٤٠٦) الأرشيف السرى الجديد ١٣٣٥، بتاريخ ٢٢ من مايو ١٩٣٩.

(٣) الفيوم، العدد ٤٧٦ في ١٦ من فبراير ١٩٤٠.

(٤) نفسه، العدد ٦٠ في ١١ من سبتمبر ١٩٣١.

مِن منطلق تدعيم العلاقات العربية، دعا حمد الباسل كبار الشخصيات التونسية الذين قَدِمُوا إلى مصر في طريقهم لأداء فريضة الحج، إلى حفلة شاي أقامها في منزله بالقاهرة؛ ودعا إليها أيضًا عبد القادر الكيلاني بك القائم بأعمال المفوضية العراقية، وآخرين من المشتغلين في الرابطة العربية، بهدف تحسين العلاقات العربية، وهو ما نَوَّهَتْ إليه صحيفة الفيوم بقولها: «لا تمضي فترة دون أن نرى حضرة صاحب السعادة حمد الباسل باشا يُكرم كبار الشرقيين وعظماء الشعوب العربية من مختلف الجهات، لتدعيم أواصر المودة والصلات بين مصر والأقطار العربية»[1]، فضلًا عن تدعيمه أواصر العلاقة بين مصر والأقليات الإسلامية، ومن ذلك إقامته مأدبة غداء بمنزله بالزمالك، تكريمًا لأعضاء بعثة التعارف الإسلامي الصينية[2].

ثانيًا: القضايا الاقتصادية

استحوذت القضايا الاقتصادية على جانب كبير من اهتمامات حمد الباسل، وظهر ذلك بشكلٍ واضح خلال مناقشاته في مجلسَي النواب والشيوخ، ومن خلال الحفلات التي كان يُقِيمها في منزله، التي كانت تدور حولها حلقات النقاش بين الحضور من كبار الاقتصاديين بمصر حول مستقبل الأوضاع الاقتصادية، والحلول المناسبة لتدعيم الاقتصاد المصري وتطويره.

الزراعة

تجدر الإشارة هنا إلى أن حمد الباسل باعتباره من كبار مُلَّاك الأراضي الزراعية، كان يَعرف قيمة الأرض ومدى تأثيرها على الدخل القومي، ومن ثَمَّ

---

(١) نفسه، العدد ٣٢٨ في ٢٩ من يناير ١٩٣٧.

(٢) الأهرام، العدد ١٩٥٩٧ في ٤ من أبريل ١٩٣٩.

فقد انصبت اهتماماته حول بذْل الجهود لتنمية الزراعة وتطويرها باعتبارها النشاط الرئيسي لغالبية السكان في مصر ، ولهذا الغرض اعتنق حمد الباسل فكرًا محدَّدًا حول أفضلية التعليم الزراعي على غيره من أنواع التعليم ، وبصفة خاصة إذا كان هذا التعليم في إقليم ذي طابع زراعي ، أيْ يكون التعليم ملائمًا للبيئة التي يعيش فيها التلاميذ ، ويتضح ذلك من خلال اعتراضه على الاقتراح المقدَّمِ من توفيق راضي ، عضو الشيوخ عن مديرية بني سويف ، في أبريل ١٩٣٠، الذي طلب فيه إنشاء مدرسة ابتدائية ببلدة بوش التابعة لبني سويف ، وقد علَّل الباسل أسباب رفضه بأن هذه البلدة زراعية ، وإنشاء مدرسة ابتدائية بها معناه انصراف أبناء المزارعين عن الاشتغال بالزراعة إلى أعمال أخرى ، وأن الضرورة تقتضي إنشاء مدرسة زراعية بهذه البلدة ، ومن أراد تعليم أولاده بمدرسة ابتدائية فعليه أن يُرْسِلَهم لبني سويف ، وانتهز الباسل الفرصة لإثارة هذه القضية ؛ وطلب من وزير المعارف أن يراعِي في سياسة وزارته حاجة البلاد الفعليَّة ، فكل جهةٍ لها ما يلائِمها من التعليم الزراعي أو الصناعي أو التجاري ، وقد جاء رأْي لجنة المعارف مُتَّسِقًا مع رأي حمد الباسل ، حيث تم حفظ الاقتراح[١] .

من جهة أخرى فقد شمل اهتمامه بالزراعة اهتمامه بالثروة الحيوانية ، ويُسْتَدَلُّ على ذلك من الاقتراح الذي قدَّمه للبرلمان بهدف استغلال الأراضي البور بزرْعها مراعي وأعشابًا تُعْطَى للأهالي مجانًا لتربية الماشية ، وما يتبع ذلك من استغلال للصوف وإنتاج الألبان ، على أن تتقاضى الحكومة نسبة على كل رأس من الحيوانات بحيث يفيد الشعب والحكومة في الوقت نفسه[٢] .

ويبدو أن آراءه المتعلِّقة بالوضع الزراعي في مصر بشكلٍ عام كانت منبثقة من فكرِهِ عندما كان عضوًا في الجمعية التشريعية ، حيث طالب وقتها بتسهيل عملية

---

[١] مجلس الشيوخ ، الانعقاد السادس والعشرون ، الجلسة ٢٠ في ١٩ من مارس ١٩٣٦، ١٤٠٧.

[٢] الفيوم ، العدد ٢٩٦ في ١٢ من يونيو ١٩٣٦.

بيع الأراضي للأهالي بالتقسيط ، كما طالب بزيادة ميزانية نظارة الزراعة لحاجتها لتوسيع نطاقها وخدمة الشئون الزراعية بالبلاد[١] .

وفيما يتعلق بمديرية الفيوم ، فقد ظهر اهتمامه بتنمية الزراعة بها منذ أن كان عضوًا في الجمعية التشريعية ، حيث طالب بتوصيل مياه الري إليها ، مشيرًا إلى وجود مساحات كبيرة في شتى أنحاء الفيوم قابلة للزراعة ، فضلًا عن اهتمامه بتحسين الصرف في منطقة الغرق السلطاني بهذا الإقليم[٢] .

الصناعة

استحوذت قضية تشجيع الصناعة الوطنية على جانب كبير من تفكير حمد الباسل ، وقد ظهرت بوادر اهتمامه بهذه المسألة بشكل جدي في عام ١٩٢٧، في أثناء مناقشة الميزانية العامة للدولة ، حيث أوضح أن استقلال مصر الاقتصادي هو أساس استقلالها السياسي ، وطلب من الحكومة أن تُخَصِّصَ نصف مليون سنويًا لمساعدة المشروعات الصناعية ، وأن يقوم بنك مصر بالإشراف على هذه العملية[٣] .

في إطار تشجيع حمد الباسل للصناعات الوطنية ، وجَّهَ الدعوة في ٢٣ من مارس ١٩٣١ إلى نخبة من التجار والأدباء والصحفيين للاجتماع في منزله بالقاهرة . وقد استهل الاجتماع بإلقاء كلمةٍ أوضحَ فيها الغرض من الاجتماع ، وهو تشجيع الصناعات الوطنية ، والاستغناء عن البضائع الأجنبية ، على أن يجد المستهلك مثيلها من الصناعات الوطنية ، وإيجاد توازن بين الإنتاج والاستهلاك ،

---

(١) محاضر جلسات الجمعية التشريعية ، الجلسة ١٥ في ٢٣ من مارس ١٩١٤، ٢٤١.

(٢) نفسه ، الجلسة ٢٧ في ١٢ من مايو ١٩١٤، ٤٤٧ـ٤٤٨.

(٣) مجلس النواب ، الهيئة النيابية الثالثة ، الانعقاد الثاني ، المجلد الثاني ، الجلسة ٤٧ في ١٨ من أبريل ١٩٢٧، ٧٤٣.

وذلك بتشكيل لجنة لتنظيم هذه العملية، وأشار إلى مقولة الخديوي إسماعيل بأن مصر قطعة من أوربا، وأنه يجب أن تكون مصر كذلك في العمل والإنتاج وليس في مجال التقليد والاستهلاك فقط، مما يدل على الفكر التقدُّمي لحمد الباسل.

وقد ألمح أحد المتحدثين في الاجتماع، وهو بهي الدين بركات وزير المعارف السابق، أن هدف حمد باشا الباسل يدعو إلى حركة قومية مصرية لا دخْلَ للحزبية فيها، ويجب على كل مصري أن يشجعها مهما كانت آراؤه السياسية ومُيُوله الحزبية، كما اقترح أحد الحضور إنشاء نادٍ اقتصادي واتخاذ كل الوسائل لزيادة الإنتاج، وفي نهاية الاجتماع وَعَدَ حمد الباسل المدعوين بأنه سيدعو في الاجتماع القادم أصحاب الأموال والمصانع في القاهرة والأقاليم، وعلى رأسهم رجال بنك مصر وشركاته، للبحث من جديد في هذا الموضع الحيوي[١].

ثالثًا : القضايا الاجتماعية

التعليم

ظهر اهتمام حمد الباسل بالنواحي التعليمية في فترة مبكرة من حياته ؛ ففي أثناء زيارة سعد زغلول ـ وكان وزيرًا للمعارف ـ للفيوم في فبراير عام ١٩٠٨ قام بافتتاح الكتاب الذي أنشأه حمد الباسل، وأثنى على جهوده في الناحية التعليمية وتشييده الكثير من المعاهد التعليمية بالفيوم[٢]. ولعل سعد باشا كان يقصِد من ذلك تأسيس حمد مدرسةً ابتدائية ومدرسة ثانوية للبنين وأخرى للبنات[٣]، مما يدل

---

(١) المساء، العدد ١٨١ في ٢٣ من مارس ١٩٣١، بحر يوسف : العدد ٣٦ في ٢٦ من مارس ١٩٣١.

(٢) لمعي المطيعي : مرجع سبق ذكره، ١٠٢، ١٠٣.

(٣) قارون، العدد ٢٣ في ٥ من سبتمبر ١٩٢٤.

على اقتناعه بضرورة تعليم البنات ، وإنْ كان يرى أن مواصلة التعليم في المدارس الثانوية ومدارس المعلمين يجب أن تقتصر على النابغين فقط ، على حين ينبغي على غيرهم الاقْتِصار على تعلُّم القراءة والكتابة والحساب وحِفظ القرآن ، ولتحقيق هذه الغاية قدَّم اقتراحًا بتبسيط إجراءات التعليم في الكتاتيب العامة[١] .

ومِن الملاحَظ أن حمد الباسل كان يداوم على الزيارات والمتابعة للمدارس وتفقُّد أحوالها والاطمئنان على سَيْر الحركة التعليمية بها ، فضلًا عن حضور حفلات توزيع الجوائز على الطلاب المتفوقين وتشجيع الأنشطة الطلابية بها ، خاصةً الأنشطة الرياضية ، وذلك بتخصيص كأس باسم حمد الباسل[٢] .

وقد أثمر ذلك عن تقدُّم الحركة التعليمية بمدارس الباسل بالفيوم ، حيث حقَّقَتْ مدارس الباسل الثانوية المركز الأول في امتحانات النقل على مستوى مصر عام ١٩٣٧م ، نظرًا لأن حمد الباسل قد خصَّصَ لها مدرِّسين أكفاء حاصلين على شهادات عليا[٣] .

نشر الثقافة

اهتمَّ حمد الباسل بالناحية الثقافية بالفيوم ؛ إذْ أنشأ مكتبة كبيرة سُمِّيَتْ بالمكتبة الباسلية ، وكانت هذه المكتبة ملحَقَةً بمدرسة الباسل الابتدائية . وقد رأى حمد الباسل فيما بعد أن يتبرع بهذه المكتبة لبلدية الفيوم ؛ بشروط:

(*) كان السبب وراء اعْتناق حمد الباسل هذه الفكرة أنه عند زيارته مدرسته الابتدائية وجد ابنةَ خادمةٍ في منزله ، في حصة الجغرافيا ، تُشير إلى خريطة أوربا على أنها إندونيسيا ، ولا تتبيَّن مواقع الدول بها بسهولة ، وهي في الوقت نفسه لا تعرف في أمور البيت شيئًا . انظر : الفيوم ، العدد ٢٩٦ في ١٢ من يونيو ١٩٣٦.

(١) المرجع نفسه ، العدد نفسه .

(٢) قارون ، العدد ٨٣ في ١٣ من ديسمبر ١٩٢٥.

(٣) بحر يوسف ، العدد ٣٥٢ في ٢ من سبتمبر ١٩٣٧.

أولًا: أن تبقى المكتبة في مكانها الحالي بالمدرسة ، مع حفظ أثاثها والكتب التي بها .

ثانيًا: إبقاء الموظفين المَعَيَّنِين بها مع تسليم الكتب التي بها بموجب كشوف تُعتَمَد من مجلس مديرية الفيوم .

ثالثًا: عمل جرد سنوي للمكتبة وتقديم تقرير بذلك له .

رابعًا: أن يتولى مجلس البلدية إدارتها والصرف على موظفيها[١] .

ويبدو أن هذه الشروط لم تَلْقَ قبولًا من مجلس مديرية الفيوم ، واستمر الأمر محل دراسةٍ وتفاوضٍ بين الباشا ومجلس البلدية[٢] ، إلى أن تم في النهاية الاتفاق على نقْلها من مدرسة الباسل الابتدائية ووضْعها تحت تصرُّف مجلس مديرية الفيوم في مبناها الجديد[٣] .

أعمال اجتماعية أخرى

لم تتوقف أعمال حمد الباسل على نشْر التعليم والثقافة فحسْب ، لكن كانت له أعمال خيريَّة أخرى ، منها بناء مسجد كبير ببلدته قصر الباسل بالفيوم[٤] ، وتخصيص مبالغ نقدية تُصرَف للفقراء في القاهرة والفيوم ، وإعْداد الموائد لهم في جميع المناسبات[٥] .

---

(١) قارون ، العدد ١١ في ١٣ من يونيو ١٩٢٤.

(٢) نفسه ، العدد ٣٠ في ٩ من نوفمبر ١٩٢٤.

(٣) بحر يوسف ، العدد في ٢٩ من يناير ١٩٣١.

(٤) قارون ، العدد ٦٥٥ في ١٦ من أكتوبر ١٩٣٧.

(٥) لمعي المطيعي : مرجع سبق ذكره ، ١٠٧.

وفـاته

لَقِيَ حمد الباسل رَبَّه بقصره بالفيوم، في التاسع من فبراير ١٩٤٠، بعد معاناة قصيرة مع المرض، وما أن أُذِيعَ هذا الخبر حتى تبارت الصحف في نشر مسيرته ودوره في الحركة الوطنية، والإفاضة في سَرْد مآثره ومواقفة النبيلة، وليس من قبيل المبالغة أو التحيُّز إذا قلنا إن جميع المعاصرين لحمد الباسل كانوا يتفقون على أن هذا الرجل كان مثالًا يُحْتَذَى به في الكرم وحُسن الأخلاق والترفُّع عن الصغائر حتى مع خصومه السياسيين، فضلًا عن إخلاصه وتفانِيه في خدمة بلاده[١].

على أيَّة حالٍ، في تمام الساعة الحادية عشرة صباح اليوم التالي، شُيِّعَ جثمان حمد الباسل في جنازة عسكرية مهيبة، تتقدَّمها كشافة مدرسة الباسل وفرسان البوليس، وتحيط بها كوكبة من كبار رجال الدولة ومندوب عن الملك فاروق ومصطفى النحاس باشا، وتوالت برقيات العزاء من بعض الحُكَّام العرب ومشايخ القبائل، كما توالت على الصحف الكثير من قصائد الرثاء وبرقيات العزاء من الجمعيات وحفلات التأبين من جميع الطوائف[٢]، التي لا يتسع المجال لذكرها، كما أعلنت مدارس الباسل الحداد لمدة أربعين يومًا.

حصاد الدراسة

يُعَدُّ حمد الباسل أحد كِبار الملَّاك من ذوي الأصول البدويَّة الذين أفادوا من سياسة الحكومة في توطين البدو، بمنْحهم مساحات واسعة من الأراضي، مما جعلهم يحتلون مكانة اجتماعية متميزة، هيَّأت لهم فرص الإقامة بالقاهرة والاحتكاك بكبار رجال السياسة، ومن هؤلاء الملاك حمد الباسل الذي كان يعيش

---

(١) المصري، العدد ١٠١٧٥ في ١٠ من فبراير ١٩٤٠. (٢) نفسه.

بالقرب من سعد زغلول ، مما أدى إلى توثيق العلاقة بينهما وانضمامه إلى الوفد .

وقد بدأَتْ مُيُول حمد الباسل تأخذ منعطفًا جديدًا باستضافته أول اجتماعٍ للوفد في منزله ، مما دفع السلطات البريطانية إلى اعتقاله مع سعد زغلول ومحمد محمود وإسماعيل صدقي ، ونفْيهم إلى مالطة ثم الإفراج عنهم والسماح لهم بعرض القضية على مؤتمر الصلح في باريس .

يتبلْوَرُ الدَّوْر السياسي لحمد الباسل فيما أبداه من مواقف سياسية ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر ، مما عرَّضه للاعتقال أكثر من مرة ، والحُكم عليه بالإعدام ثم تخفيف الحكم والإفراج عنه بعد تغيُّر الظروف السياسية ، والسماح لسعد زغلول بالعودة من المنفى .

وقد واصل حمد الباسل دوره السياسي من خلال عمله وكيلًا للوفد حتى عام ١٩٣٢، وخروجه من الوفد على أثر الخلاف الذي حدث بينه وبين مصطفى النحاس ، فيما سُمِّيَ بالانشقاق الثاني للوفد ، وإن ظلَّ حمد الباسل متمسكًا بمبادئه الوفدية ووفائه لذكرى سعد زغلول .

والواقع أن خروج حمد الباسل من الوفد على أثر خلافه مع النحاس لم يَصْرِفْهُ عن خدمة القضايا الوطنية حتى وفاته في ٩ من فبراير ١٩٤٠، حيث ركَّز جُلَّ اهتمامه من خلال عضويته في مجلس النواب على القضايا الوطنية ، سواء كانت قضايا سياسية أو قضايا اقتصادية كالزراعة والصناعة ، واجتماعية كالصحة والتعليم ، فضلًا عن اهتمامه الكبير بحل القضايا والخلافات العربية وتدعيم أواصر العلاقات بين مصر وسائر البلدان العربية والإسلامية .

وليس من قبيل المبالغة أو التحيُّز إذا قلْنا إن حمد الباسل ـ أو شيخ العرب كما كان يُلَقَّب ـ قد حاز إعجاب كل معاصريه من السياسيين وتقديرهم ، سواء كانوا ممَّنْ يتفقون معه في الرأي أو من خصومه ، نظرًا لإخلاصه في خدمة بلاده ، وبما اتصف به من الصفات العربية الأصيلة كالكرم والعِفَّة والتسامح ، وظهر ذلك جليًا من خلال ردود الأفعال في الأوساط المصرية والعربية عند سماع خبر وفاته .

المصادر والمراجع

أولًا : الوثائق العربية

[أ] غير المنشورة

محافظ عابدين، محفظة رقم (٥٨١) انتخابات المحروسة، العدد ١١ نوفمبر ١٩٢٣.

محافظ عابدين، محفظة رقم (٢) تقارير أمن، تقرير عن الحالة العامة بمديرية الفيوم بتاريخ ٢/٣١/ ١٩٢٥م.

أرشيف وزارة الخارجية، وثيقة رقم (٤٠٦) الأرشيف السري الجديد ١٣٣٥ بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٣٩م.

[ب] المنشورة

محاضر جلسات الجمعية التشريعية: ١٩١٤.

مضابط مجلس النواب: ١٩٢٤، ١٩٢٧، ١٩٣٦، ١٩٣٨.

مضابط مجلس الشيوخ: ١٩٢٤، ١٩٣٦.

ثانيًا : وثائق الخارجية البريطانية

Foreign office series 371/volume 1964/file 15252: Report from Ministry of Interior, Adviser's office: «Note on the First Elections for the Egyptian Legislative Assembly», by Ronald Graham, December 29. 1913.

Reports of the Leading Personalities in Egypt. January, 1930.

Lord Lloyd to sir Austen Chamberlain, May 23. 1927.

F.O. 407/219 No.30 *Lampson to Eden.* Jan. 9. 1936.

ثالثًا : المذكرات والذكريات

[أ] المذكرات

مذكرات حسين رشدي (سكرتير حمد الباسل): بعنوان: حمد الباسل يُعطيني درسًا في الكرم، منشورة بمجلة الفتاة، العدد ٢١، مارس ١٩٣٨م.

مذكرات سعد زغلول: تحقيق عبد العظيم رمضان، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ ـ ١٩٩٨.

مذكرات عبد الرحمن فهمي (يوميات مصر السياسية) : تحقيق يونان لبيب رزق ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ١، ج ٣، ج ٤، أعوام ١٩٨٨، ١٩٩٦، ٢٠٠٣.
مذكرات محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ، ج ١، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٩٠م .

[ب] الذكريات

حمد الباسل : ذكريات عن الحركة الوطنية ، منشورة بمجلة الدنيا المصورة ، الأعداد ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، أبريل ١٩٣١م .
محمد علي علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م .

رابعًا : الدوريات

الأخبار : ١٩٢٤.
الأهرام : ١٩٢١، ١٩٣٣، ١٩٣٩، ٢٠٠٧.
الدنيا المصورة : ١٩٣١.
الفتاة : ١٩٣٨.
الفيوم : ١٩٣١، ١٩٣٦، ١٩٣٧، ١٩٤٠.
المساء : ١٩٣٠، ١٩٣١.
المصري : ١٩٣٦، ١٩٤٠.
المصور : ١٩٣٦.
المقطم : ١٩٢٥، ١٩٣٦.
بحر يوسف : ١٩٣١، ١٩٣٧، ١٩٣٨.
قارون : ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٣٠، ١٩٣٧، ١٩٤٠.

خامسًا : المراجع العربية

أحمد زكريا الشلق : حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ـ ١٩٥٣، ط ١، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٢م .
أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى المعاهدة ، القاهرة ـ مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٤م .
زكريا أحمد محمد سعد : المشكلة الفلسطينية وموقف مصر حكومةً وشعبًا ١٩١٧ـ ١٩٣٧، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م .

عاصم الدسوقي : كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري ، القاهرة ـ دار الشروق ٢٠٠٧م .

عاصم محروس عبد المطلب : دور الطلبة المصريين في الحركة الوطنية ١٩١٩ ـ ١٩٥٢، رسالة دكتوراه منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨.

عبد الله محمد عزباوي : حزب الوفد منذ نشأته حتى ١٩٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧١م .

عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩، تاريخ مصر القومي من ١٩١٤ـ ١٩٢١، ط ٤، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٧م .

عبد السلام الحبوني : القبائل العربية في ليبيا ، القاهرة ـ دار الكتب المصرية د. ت .

عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨ـ ١٩٣٦، ط ٢، القاهرة ـ مكتبة مدبولي د.ت .

علي بركات : تطور الملكية الزراعية في مصر ١٨١٣ـ١٩١٤ وأثره على الحركة السياسية ، القاهرة ـ دار الثقافة الجديدة ١٩٧٧م .

علي شلبي : الريف المصري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٣م .

لمعي المطيعي : هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م .

ماريوس كامل ديب : الوفد وخصومه السياسيين ١٩١٩ـ ١٩٣٩، ط ١، لبنان ـ ١٩٨٧م .

محمد السعيد إدريس : حزب الوفد والطبقة العاملة المصرية ، القاهرة ـ دار الثقافة الجديدة ١٩٨٩م .

محمد فريد حشيش : حزب الوفد ١٩٣٦ـ ١٩٥٢، ج ١، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

نبيل رياض عبد المولى : نواب الفيوم في البرلمان ١٩٢٤ـ ١٩٥٢، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، ٢٠٠٢م .

يواقيم رزق مرقص : السودان في البرلمان المصري ١٩٢٤ـ ١٩٣٦، ج ١، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م .

يونان لبيب رزق : قصة البرلمان المصري ، العدد ٤٨٣، القاهرة ـ دار الهلال مارس ١٩٩١م .

تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ـ ١٩٥٣، ط ٢، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

سادسًا : المراجع الأجنبية

AFAF LUTFI EL-SAYYID, *A short History of Modern Egypt,* Cambridge University press, 1985.

LIOYD. L., *Egypt since Cromer,* vol, II, London, 1934.